الفاشل عبقرينو

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: الفاشل عبقرينو

اسم المؤلف: عمر مصلحي صبيح

التدقيق اللغوي: محمود البكري

تصميم الغلاف: محمد مجاهد

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ٢٠٠١٩ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٢٧٢-٧-٥



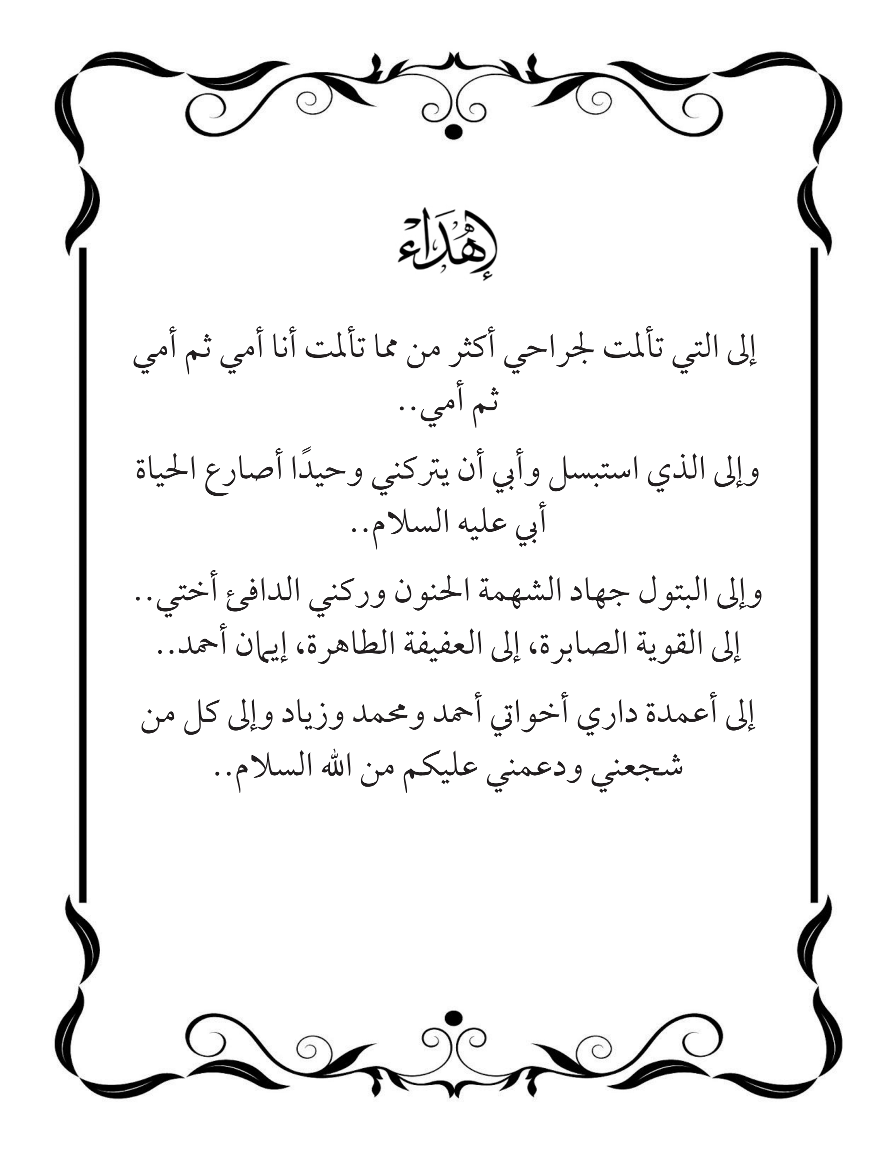

ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية


01020439639


massar.pub1@gmail.com

الفاشل عبقرينو





إهداء

إلى التي تألمت لجراحي أكثر من مما تألمت أنا أمي ثم أمي ثم أمي..

وإلى الذي استبسل وأبي أن يتركني وحيدًا أصارع الحياة أبي عليه السلام..

وإلى البتول جهاد الشهمة الحنون وركني الدافئ أختي.. إلى القوية الصابرة، إلى العفيفة الطاهرة، إيمان أحمد..

إلى أعمدة داري أخواتي أحمد ومحمد وزياد وإلى كل من شجعني ودعمني عليكم من الله السلام..

تنويه:

الكاتب مخلوق شبه آدمي ولا يشعر بالانتماء إلى شيء لا إلى جنسه كإنسان ولا إلى عالمه كموجود في الوجود.

اسمي عبقرينو ومن اسمي قد تتصور أني من النوع المتفوق دراسيًا والمتدهور اجتماعيًا ذا نظارات وملقب بالدحيح.. ولكن يؤسفني أن ما وقع في خلدك ليس صحيحًا..

فأنا ومنذ نعومة أظفاري اجتماعي درجة أولى..

صحيح أني كنت أتعرض لتنمر باستمرار ومن الجميع تقريبًا، أمي أبي أخواتي المعلمين في المدرسة أصدقائي وأقاربي أحيانًا، لا أعلم سببًا واضحًا لذلك على الأرجح إنها رأسي الكبير إنها مثيرة لغريزة التنمر الفطرية لدى البشر...

لكني كنت قادرًا على إقناع نفسي وبنفسي أن رأسي الكبير نعمة من الله وانها تعج بالأفكار والعبقرية وتنم عن ذكائي الفذ ؛ لذا لقبت نفسي عبقرينو صحيح أن درجاتي المدرسية كانت تثبت لي العكس تمامًا وفي كل المراحل لم أحصل على أي تقدير جيد سوى في المواد العلمية لكونها شيقة بالنسبة لي، وانتهى بي الحال في معهد الخدمة الاجتماعية..

"يااا فاااشل جبتلي الضغط والسكر هتعمل ايه تاني يا موكوس يبتاع خدمة اجتماعية.. هشغلك ساعي عند ابن خالتك المتفوق اللي دخل هندسة يا أبو دماغ يا فااااااااشل"

تلك كانت أمي إنها دائمًا تشجعني لكنها لا تلبث حتى تفقد صبرها ويتحول التشجيع إلى ذم ووعيد ودعاء علي بالهلاك وأحيانًا قذف بالشبشب ورغم ما آلت إليه أموري من تعثر، فإني لم أفقد ثقتي بنفسي أو لقبي عبقرينو بل ضفت إليه ليصبح "الفاشل عبقرينو" مزيج من عنصرين متناقضين، العبقرية والفشل وهذا منطقي جدًا لتلك الرقعة التي نعيش فيها، فهي مجتمع المتناقضات وملتقى العجائب .. تومس ايدسون كان فاشلًا في الدراسة، وفُصل لتأخره العقلي رغم كدا أمه شجعته وعلمته وأقنعته بأنه أَفضل من الجميع..

تمامًا كما تفعل أمي، وبغض النظر عن أنها وبدون قصد خلقت بيني وبين ابن خالتي عداءً وخصومة من فرط المقارنة التي وضعتني معه فيها..

لذا فعدائي لابن خالتي و اقتدائي بتومس ايدسون، دفعني إلى عدم تسليم كل كتبي إلى عم محمد بتاع الطعمية،

احتفظت بالعلمي منها بل واشتريت أمهات الكتب في الفيزياء والميكانيكة، وكثفت دراساتي، وسأخترع اختراعًا يرج البشرية رجًا..

دخلت أمي دون طرق الباب وأفزعتني كعادتها، إن غرفتي تعج بالكتب وجدرانها مرقعة بصور المخترعين والعباقرة اينشتين، مكس بلانك، لوي تلستوي، نليس بيرج، تشيخوف، زويل، مصطفى محمود، والعبد لله..

وعلى الأرضية كراكيب لا حصر لها كما تصف أمي، وفي منتصفها سبورة بيضاء منتصبة كجندي باسل لا يعرف للخوف معنًا..

دخلت أمي وقالت الخاطرة اليومية..

"ابن خالتك صنع أكبر ماكينة تصنيع قماش في الدنيا يا فاااااااشل هشغلك عنده أما يتخرج تعمله شاي وقهوة"

وخرجت بعد الخاطرة..

"ماشي يا سامي قماش.. قماش.. دا مبلغ علمك أما أنا هه.. فالعبد لله مسك الزمكان تناه"

لقد أصبحنا نتعرض لجميع مسببات الأمراض النفسية والعقد ولا نبالي أو نتأثر أو ربما تحولنا شيئًا فشيئًا مجانين دون أن ننتبه إلى ذلك..

لكن لا مشكلة قريبًا جدًا سأكون وأمام العالم كله أوثق اختراعي وسأحصل على نوبل، وسيصافحني هوكينج وسنسافر أنا وهو عبر الأزمنة..

قطع حبل أفكار ذلك الصوت الذي كان ينادي..

- يا أستاذ عبقرينووووووووووو يا عبقرينوووووووووووووو

فتحت شباكي لأنظر من!

- أي عايز إيه يا زفت أنت!

كان واقفًا أمام بيتي وفي يده كتاب قد استعاره ليلة أمس من المكتبة التي افتتحتها كمشروعًا لزيادة دخلي ولحبي في القراءة.. كانت جراج توكتوك أخي الكبير الذي وافته المنية من عامين تقريبًا والآن اصبح الجراج مكتبة عبقرينو...

- الكتاب يعم عبقرينو خلصتو وعايز أستعير غيره..

- نازلك نازلك..

كانت السابعة مساءً، وبالمناسبة جلال إبراهيم زبوني المفضل ليس لأنه مثقف وكثير القراءة، لكنه يحب لقب المثقف وبيني وبينكم هو لا يعرف أن يفرق بين البرجوازية والأرستقراطية..

إنه يأخذ الكتاب يصوره وينشر الصورة عبر مواقع التواصل الاجتماعي مرفوقة باقتباس عشوائي من الكتاب، وهكذا يُنتَج المثقف العربي..

نزلت إليه مضطرًا فنسبة زبائن الكتب كالنسبة التي لا يقضي عليها ديتول من الجراثيم..

في هذا الشارع الذي يعج بالزحام يوجد العديد من محلات البقالة الكبير والصغير، وورشة النجارة الكبيرة التي تستطيع أن تُمَيِّز شارعنا بصوت مناشيرها، وتطل تلك الورشة على محل عم عماد المكوجي، وبجواره العم عبد المنعم ذلك الرجل السمين التي لا تفارق البسمة وجهه وهو يصلح الأحذية.

وأشرف برايز إنه صاحب محل صيانة المحمول، تعبير وجهه تفقدك الثقة به وأخيراً الحج هشام الصعيدي إنه مرطب الحي بائع عصير القصب، وأمامه قهوة المعلم بشندي التي تعج بالزبائن ولا يمر عليها يوم دون شجر دموي..

الشارع دائماً يقظ ومكتظ، وربما مزعج لمن لم يعتد ضوضاءه، لكنه كذلك يعج بالمحبة والروح الطيبة...

أنا لست من النوع الذي يحسد لكن الكل هنا يعمل كخلية نحل، إلا أنا أجلس معظم اليوم في المكتبة أهش البعوض عن وجهي، لكن هذا يعطي لي الفرصة على العمل على اختراعي...

أمرٌ طبيعي أن تظل مكتبتي خاوية على عُروشها لا يقْربُها الزبائن فالناس منهمكون في أعمالهم، حتى أوقات فراغهم تُقضى وهم يحدثون أنفسهم أو على المقهى وهم يداعبون حجر المعسل الكريم، ويقبلون مبسمه وخلال تلك الطقوس يتحدثون في كل شيء، ما عدا السياسة فإنها تسبب إفراز الهيستامين في الجسد بشكل كبير، وتتجلى عبثيتهم عند

وقت مشاهدة المعبودة المستديرة دوري كرة القدم تدفعهم عصبيتهم إلى الينج واليانج الأهلي والزمالك إلى التناحر والتشاجر وقد ينتهي الأمر بتبادل الكراسي عبر الهواء....

إن لتلك المقهى دور كبير في توسيع ثقب الأوزون..

و رغم ذلك فإن ما يأتيني من المكتبة من مال يكفيني فأنا ما زلت في الفرقة الثانية ولم أحمل نفسي عبء الزواج بعد...

- صحيح يا أستاذ عبقرينو الإنسان دا أناني محض وبتحكمه غريزة البقاء

قالها إبراهيم وهو يحاول إبراز عضلاته الثقافية.. حافظ مش فاهم وقد أثار غضبي.

- صحيح فعلًا يا حمار أنت اللي بتحكمك غريزتك وبتقرأ لموسم التزاوج عشان تلفت انتباه الأنثى..

- ليه كدا طيب!

- تعرف أنت عن "القرطاجانيون" أو الحضارة "الأزاتية" في المكسيك قديمًا هاا!

الأزاتية كانوا كل سنة بيقدموا آلاف من الأضاحي

البشرية، والقرطاجانيون كانوا بيرموا أطفالهم في النار في صلاة المطر، وأنا مش في صدد تقييم السلوك دا ولكن فين هنا الأنانية وغريزة االبقاء ؟! الإنسان صحيح أناني لكن عنده نزعة مثالية عليا ربانية سامية، سميها زي ما أنت عايز ممكن تخلي الإنسان ينكر ذاته ويضحي بنفسه، أنت عمرك شوفت حيوان بيخربش نفسه ؟

- لا

- عشان الحيوان أناني بشكل مطلق وبتحكمه الغريزة بشكل مطلق، لكن البشر ممكن ينتحروا، الإنسان في آخر العصر الحجري الوسيط كان بيقطع نفسه حرفيًا كنوع من أنواع العبادات فين الغريزة اللي بتحكمه ؟! أنت ممكن تقول السلوكيات المثالية دي بيعملها الإنسان عشان المكانة الاجتماعية، لكن في أديان كتير زي الإسلام بيحث الناس على كتمان الأعمال اللي فيها خير، وعدم اظهارها، عشان "الإخلاص"

الماديين منهم من يعتبر الحمار متفوق على الإنسان من حيث إنه بيتبع غريزته فقط على عكس الإنسان اللي في

نظرهم مكبل بالالتزامات الأخلاقية والنزعة المثالية اللي بتخليه ميعملش من أجل نفسه فقط...

- طب والله ممكن عمرنا ما شوفنا حمار انتحر أو قتل من بني جنسه تحت مسمى العنصرية والعرقية أو فجر نفسه أو حتى أصيب بالاكتئاب..

- طب احمد ربنا إنك وصلت لمرتبة الحمار مبروك يا حمار، ويلا بقا خد كتابك وغور من هنا..

انتهى الحوار و أغلقت المكتبة وخرجت وقبل أن أدلف إلى بيتي فإذا بماء منهمر يهطل علي من السماء برائحة كريهة جدًا وقبل أن أنظر إلى مصدر الماء سمعت صوت الحجة هناء جارتي...

- لمؤاخذة يا صفوت يبني والله ما شوفتك

تبخر الماء من على جسدي من حرارتي التي ارتفعت بكظم غيظي..

- ولا يهمك يا خالتي هناء..

وعدت إلى بيتي وغرفتي ملاذي الآمن في هذا العالم حيث

الأغراض المبعثرة بشكل عشوائي.. والوقت كان مناسب لتشغيل الاله للتو، أمي خرجت ولا أحد في المنزل..

اقتربت إلى تلك الآلة، التي عن قريب ستكون أهم اختراع في العالم، إنها تعمل على قطبين، قطب يرفع كتلة المادة إلى معدل كبير بحيث يثقل على الزمكان ليفتح لنا باب المرور عبر الزمن، والقطب الآخر يعمل على تحريك أي جسم يقترب من البوابة الزمنية بسرعة تصل إلى سرعة الضوء، وينتقل الجسم المسرع إلى الزمن المحدد مسبقًا على الآلة..

ربما تكون فكرة السفر عبر الزمن فكرة غير عقلانية و غير منطقية بالمرة، فلو تمكنت من ذلك لمنعت أبي من الزواج، لكن عندما يتعلق الإنسان بهدف يُشبع له رغبة الانتقام بداخله ويحقق له ذاته فلا سبيل إلى التراجع عن ذلك الهدف..

اقتربت من الآلة وقبل أن أشغلها سمعت صوتًا خافتًا كأنه يخرج من رأسي ويخبرني بأن لا أفعل، لكن لم أكترث وشغلتها وبدأت تعمل، كان كل شيء على ما يرام إلى أن بدأ

الدخان يتصاعد بشكل كبير، أخذ التيار الكهربي بالمنزل يتأثر ويشتد تردده حتى انفجرت المصابيح في الغرفة، وحاولت إيقاف الآلة، لكني صُعِقت ولو لم تنفجر الآلة لكنت في عداد الموتى، فقد دفعني الانفجار بعنف وارتطمت بجدار الغرفة ..

نهضت بعد دقيقة تقريبًا لأجد الغرفة قد غرقت في الدخان، الحمد لله أن لا أحد في المنزل، ولاح من خلف الضباب ظل جسد شديد الضخامة، بدى كأنه يتلفت، كنت أحاول أن أرى بوضوح لكن صوته أفزعني وفي لحظة أصبحت فوق الدولاب.

بدأ الدخان ينقعش ويتبدد لأرى رجلًا ضخم الجسه، يرتدي ملابس قديمة الطراز مستلقيًا على الأرض، إنه في حالة إغماء، لم انزل للمساعدة فهو يبدو مخيفًا لم يمر الكثير من الوقت حتى اعتدل واتكأ أخذ يداعب رأسه وهو يتمتم ويخرج منه نشيج يشبه صوت الأسد وارتسمت على وجهه علامات الفزع وأخذ يقول "أين أنا واهبل أين أنا يا ويلي لقد مت أم ماذا يا الله أغثني"

- أنت مين يا شبح أنت وايه اللي جابك هنا؟!

- من يتحدث أنا لا أفهم شيئًا؟ أين أنا؟!

- أنت هتستعبط يعم حرامي وبتشتغلني!

- أنا لا أتحدث بلغة العجم ..

كان الحوار يدور وأنا كما أنا علي الدولاب وبسبب ما تبقى من دخان في الغرفة لم يتمكن أن يراني.

- خليني ورا الكداب لحد باب البيت، من أنت ايها الرجل!

- أنا عمرو بن هشام المخزومي.. أنا من سادة قريش..

- يا سلام يعني أنت أنت أبا الحكم وعكرمة ابنك!

- نعم أنا هو أنت تعرفني!

- أعرفك طبعًا أنت كداب وهبلغ البوليس حالًا..

- هل تتهمني بالكذب ؟! أنا أكرم من الكذب، ثكلتك أمك أين أنت تجلَ لي !

نهار أسود معقول الآلة اشتغلت ياربي

- اثبت لي أنك أبا الحكم

- ما كنت لأدعيٍ كذبًا إني أبا الحكم، فهو زعيم وسيد في قومه ولو كنت فاعلاً لخفت على عنقي أن يجتز جراء كذبي هذا .

يا الله الآلة نجحت، بس ياربي يوم ما الآلة تجيب حد من الماضي تجيب أبو جهل، مكنتش تجيب "منرين منرو"

نزلت من على الدولاب وتابعت حديثي معه وأنا أتقدم بحذر وأسأله كيف وصلت إلى هنا وكان الجواب "كنت متكئًا في داري أداعب جاريتي الحسناء وأتجرع الخمر في هناء حتى هب علي دخان من حيث لا أدري غشيني وقد كان حارًا جدًا خلت إني كد شويت كنبت الزُرَّاع ودون مقدمات وجدت نفسي هنا"

دنوت منه أكثر وفقدت الشعور بالخوف عندما رائيت الخوف في عينه.

- بص يعم عمور .. أنا سأشرح لك كل شيء وسأعيدك إلى دارك، وجاريتك اللي كنت أتمنى تيجي معاك، إن ما

حدث كارثي يا أبو عكرمة، وإن لم تهدأ وتطيع أمري ستهلك، لكن عدني أولًا بأن لا تمس احداً بضر، وأن تسمع كلامي وأن لا تظهر أي دهشة من أي شيء لأتمكن من إعادتك..

قال و الخوف متشعبا في وجهه

- واه ثبوراااااه سأهلك !! لك السمع والطاعة و العهد علي ما تريد، أخبرني أين أنا إذًا!

- ابو عكرمة لقد مر علي عام الفيل ١٤٠٠ عام تقريبًا أنت في المستقبل...

لم يصدق ولم يستوعب في البداية ولكن لم يمر الكثير حتى اقتنع بما أقول وقد تمكنت من ترويضه لينصاع لأمري فلو اكتُشف أمره لا أعرف تحديدًا ما الذي سيحدث ولكن سيكون أمرًا سيئًا للغاية..

وبالمناسبة لقد علمت منه أنه جاء قبل بعثة الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-..

أحضرت له الطعام أكل بنهم شديد وقد أعجبه الطعام،

احضرت له ثيابًا من ملابس أخي الكبير الذي تُوُفِي، ثيابه مناسبة فقد كان ضخم البنية رحمة الله عليه..

وأعطيته شخصية وإسم مستعار، أنه صديقي عمر هاشم بدل من عمرو ابن هشام.. وأيضًا اتفقنا على أنه من الواحات من سيوة وهذا يفسر لهجته الغريبة وثقافته المختلفة..

- كفاية واقفة قصاد المرايه بقا !

كان يرتدي ثيابه الجديده والتي كانت رياضية بدى فيها جذابًا، فهو مفتول العضلات طويل الشعر ولديه لحية مهندمة سودة مشربة بحمرة وهو وسيم، هذا عكس ما تصورت..

- حسنًا يا عبقرينو..

- حسنًا هو دا اللي اتفقنا عليه مش أنا عمال أحفظك في كلام القوم هنا.

- نعم نعم تمام يسطا..

جلسنا في البلكونة وشرحت له الكثير عن هذا الزمان،

لم يكن كلامي يروقه لكنه كان مندهشًا من شكل الشارع والناس والسيارات والمنازل، قال إننا في الجنة وعندما رأى الكمبيوتر وإمكاناته قال "أريد أن أبقى" لكن أنا متأكد سيتمنى العودة بمجرد أن يُعايش ذلك العصر العبثي..

الحمد لله أن لا أحد في المنزل هذا أعطاني فرصة لشرح الكثير لأبو جهل عن طبيعة ذلك الواقع..

وأخيرًا نزلنا إلى الشارع المصري الجميل، وستبدأ قوارع الزمن القديم والحديث في القرع على رأسي ورأس اللي خلافوني..

كانت الشمس توشك على الغروب وكان الشارع مزدحمًا، ويعج بالناس، كنت أتحرك في قلق وخلفي أبو جهل يتلفت كالأطفال وعينه تلتهم كل شيء في فضول وشغف.

وكان من الموجودين في الشارع شاب يرتدي قميصًا أسود يطل علينا من فتحته صدرة المشعر وسلسلة ذهبية سميكة، بينما كان بنطاله الجينز قد اختصم مع مؤخرته فسقط للأسفل قليلًا، إنه "بربش" شبح الحي كان واقفًا أمام كشك بقالة أم فاروق كان يتحدث إليه وبطريقته المعتادة

وهو يتمايل وبفمٍ مفتوح نسبيا .. سرسجي سرسجي يعني مش هزار

"جرا إي يا أم فااروق السجاير دي صيني وأنا بقا مش دافع ال ١٥٠ جنيه اللي عليا عشان سجايرك أصلًا صيني"

صوته المرتفع لفت انتباه أبو جهل كما لفت انتباهي..

"وحيات أمك لتدفع اي هو عافية ولا إيه"

رد بربش وهو يقترب نحوها والشر بادٍ في وجهه..

"لا بلطجة...."

لم يتمكن بربش من الاقتراب أكثر فقد أمسكه أبو جهل من تلبيبه من الخلف بشده حتى كاد أن يسقط أرضًا، حاول أن يبعد يده لكن أبا جهل ضربه بقبضته وبعنف شديد حتى سال الدم من أنفه وأسنانه....

فأخذ بربش يصرخ قائلًا "أنت بتضربني نهار أسود والله لأقتلك"

أصابني الرعب لكن أبا عكرمة لم يهتز وقال "سكلتك أمك يا اسود يا معدوم المروءة تريد أن تضرب امرأة"

لقد رأيتهم أصحاب بربش بلطجية الشارع يهرولون في اتجاهنا وقفت بعيدًا كأني لا أعرفه أشهد فحسب...

لكن العجيب أنه تمكن منهم جميعًا، تحمل ضرباتهم وأعطاهم درسًا قاسيًا لقد تجمع الكثير لمشاهدة الشجار ومنهم من حاول فضه لكن الناس كادت أن تهتف باسم أبو جهل لولا أنهم لا يعرفون اسمه...

وقف بينهما بشكل سينمائي وقال "أنا عمرو بن هشام المخزومي سيد قريش" أخذته العزة لكنه تذكر أنه في المستقبل عند سماع صوت ضحك الناس عليه تمتم ثم قال "أنا عمر هاشم من الواحات ياض أنت وهو"

تبدد الزحام وأخذت أم فاروق تشكر أبا جهل وهي تنظر له و تحملق في إعجاب وقالت مغازلةً "شالله تسلم يجميل فكرتني بأيام الفتوات بتوع زمان"

سحبته من يده بقوة وتحركنا عندما رأيت في عينه نظرات الإعجاب....

دخلنا مقهى المعلم بشندي وكانت أول كلمة لي..

- بعد كدا لا تتدخل فيما لا يعنيك..

- لكن أنا لم أتدخل فيما لا يعنيني..

- ولكن ماذا فعلت منذ قليل..

- لا يا رجل هذا يعنيني جدًا ويعنيك ويعني كل الرجال ماذا سيبقى من مروأتك إن سكت على ما يحدث من ذلك البرغوث..

"تشرب ايه يا باشا"

قاطع القهوجي حوارنا بسؤاله الوجودي..

- لا أنا بس هقوم أجيب غدى الأول.. وأردفت وأنا أنظر إلى عمر ..

- تشرب حاجة ؟!

- نعم خمر..

"خمررر إيه يا باشا دي قهوة محترمة" قالها القهوجي في غضب

- لا يا باشا دا بيهرج معاك هات واحد عناب..

ذهب القهوجي لينفجر غضبي على أبو جهل وتركته لإحضار الطعام بعد أن وصيته بعدم التحرك..

وقبل أن أعود للمقهي بالطعام رأيتهم وهم يدخلون قبلي بربش وعصابته، نهار أسود.

دخلت المقهى في توجس لأجدهم جالسين معه ويعتذرون له ويطلبون منه أن يكون زعيماً لهم وواحدًا منهم وكانوا ينادونه بالمعلم..

لقد حصل علي مكانة اجتماعية في وقتٍ قصيرٍ جداً

***

وصلنا إلى البيت في النهاية لأجد أمي هناك يا إلهي..

- أنت جيت يا موكوس

- ماما معاية ضيف مش كدا

كانت غاضبة جدًا ولم أعرف لذلك سببًا على كل حال إنها دائمًا هكذا

جحظت عين أبي جهل و بدى خائفًا منها

- أنت هتعلمني يا فاشل أتكلم معاك إزاي

لم أتمالك نفسي

- ماما مش دايمًا كدا توبيخ بقولك معاية ضيف وميصحش كدا

وجدت نفسي دون مقدمات مُعَلَّقًا لا لا تصل قدمي للأرض لأجد أبو جهل ممسكًا تلابيبي وقد رفعني وكان ينظر إلي بغضب ويقول "كيف تجرؤ على الحديث مع أمك هكذا"

ردة فعله جعلت أمي ترضى عن بقائه معي كما أريد، وأعتقدتُ أنه تعمد فعل ذلك لأرضاء أمي، لكنه أخبرني أنه لم يطق سماعي وأنا أكلم أمي بهذا الشكل..

وخلال اليوم تحدثنا عن الماضي والمستقبل علمته الكثير من الكلمات المصرية وحدثني هو عن مظاهر الحضارة في عصره لقد اعتصرت ذاكرته وسألته عن كل شيء ورغم فقر الجزيرة العربية ثقافيًا في ذلك العصر وحضاريًا فيما قبل الإسلام، فإني كنت منبهرًا بمظاهر وسمات أهل تلك الأرض من مروءة وشجاعة وكرم

كراهية الكذب وحب الشرف....

وللحق فقد استغللت أبو جهل، فلدي قناة على اليوتيوب أقدم عليها ملخصات الكتب وقد كان أبو جهل مصدرًا قويًا للمعلومات، وانتهى اليوم الأول مع أبي جهل في القرن الواحد والعشرين..

أشرقت شمس يوم الأحد

استيقظت فلم أجد أبا عكرمة يالا الهول خرجت من

الغرفة مسرعًا، فوجد المنزل مقلوبًا رأسًا على عقب "يا نهار أزرق"

- مالك يا واد متخشب ليه كدا ؟!

كانت تلك أمي

- اي اللي حصل ؟!

- بنضف الشقة يا واد في ايه !

- فين عمر يا ماما ؟

- في البلكونة يا حبيب، منتا معفن متحبش تعيش في النضافة ابدًا

يا إلهي، ماذا أرى أهو هو!

أبو جهل شمر بنطاله وقميصه وربط وشاحًا على رأسه و بينفض السجاد

- بتعمل اي يا عمر

قال وهو لا يشعر أنه يفعل شيئًا غريبًا

- أقوم بأعمال المنزل مع والدتك..

وقع في خلدي أن أمي أرغمته، فسألته وكانت الإجابة غريبة، لقد استيقظ ووجدها تعمل فبدأ بالعمل معها، وقال من كرم وشهامة الرجل أن يعمل على خدمة أهل بيته ...

وصلني صوت أمي وهي تقول

- معطله ليه يا زفت تعالى اعمل حاجة بدل ما أنت فاضي كدا

- حاضر ياماما حاضر

المرأة مخلوق أصبح قادرًا على السطو والهيمنة بكل سهولة وبأكثر من طريقة واستراتيجية فبالاستعطاف والمسكنة تارة وبالسوط والإرهاب تارةً أخرى، تحولت على مر التاريخ من مخلوق مستضعف يُباع ويُشترى كالسلع ويُقامَر عليه أحيانًا في الهند مثلًا قديمًا، وتعامل كالأغنام وتُقَدِّم كقربانًا أحيانًا في بعض الحضارات إلى مخلوق أكثر قوة وذكاءً أصبحت الآن المهيمنة على ذلك الكوكب بطريقة مباشرة وغير مباشرة، لقد عادت لتنتقم، هي قادرة على خلعك أو سجنك، ولا ننسى أن الشقة من حقها، هي قادرة على جعلك تتقفز في المحاكم والأقسام كقردٍ احترق ذيلُه ...

- فووووق يا فاااشل يا نايم

أيقظتني أمي من أحلام اليقظة التي دائما ما اغرق فيها

- أيوة يا ماما فايق أهو

- ولا أنت فايق ولا نيلة خالتك جاية انهارده هي والبشمهندس سامي

- دا ليه إن شاء الله؟ وبعدين مالك بتقولي بشمهندس كدا دا لسة طالب

- بطل حقد يولا أختي تيجي وقت ما تحب أنت سامع

- خلاص أنا هبقا أنزل أنا وعمرع القهوة وقت ما تيجي

- ما تغور بس الشقة تنضف قبل ما تيجي، سرع شوية

وفي الثالثة عصرًا وصل المُنتَظَر هو وأمه التي لا تتحدث إلا عن ابنها وما يفعله ابنها وأخلاقياته و انجازته، ربنا ياخدها هي وابنها، كنا في الصالون أنا وخالتي وأمي وأبو عكرمة وابن خالتي سامي، سامي ممتلئ و ألدغ في حرف الراء واللام، كان يجلس على الكرسي الذي اشتكاه وهو يحاول أن يبدو مؤدب ولكن على من

- ازيك يا صفوت أخبارك ايه ؟

- لا يا شبندر انا اسمي عبقرينو بلاش صفوت دا

- يعني هو أنا اللي اسمي شبندر؟ اسمي سامي على الأقل صفوت يبقا اسمك الحقيقي ..

وقبل أن أرد اقشعر بدني وأدركت أن أمي تنظر إلي وبالفعل قد كانت ألتقت عيني بعينها فسكن لساني وشلت جوارحي..

وأضافت أمي في محاولة لتغيير الأجواء والموضوع..

- وأنت يا شبندر أقصد يا سامي عامل اي في الكلية يا حبيبي ؟

- بخير يا طنط والله بس إيه مش هتعرفونا بالأستاذ !

كان يقصد أبو جهل والذي كان يجلس دون حركة تمامًا كما أمرته وأنا أحذره من غضب أمي..

- دا عمر صاحب عبقرينو يا حبيبي

نظر إليه وابتسم وقال "أهلًا وسهلًا" فرد أبو جهل قائلًا

"عمت صباحًا أأنت من قبيلة عبقرينو"

جحظت عين سامي تعجبًا من رد أبو جهل فلا يبدو عليه أنه يمزح فتدخلت قائلًا :

- دا عمر صاحبي من الواحات ولهجته وأسلوب مختلف شوية بدوي بقا

فرد سامي:

- اها أهلًا وسهلًا تشرفت بمعرفتك أنا سامي هندسة قسم ميكانيكة

دنى أبو عكرمة مني وكنت جالسًا بجواره فهمس "ماذا يعني بهندسه قسم بميكانيكة" ولم أعرف لماذا قولت له "إنه يسب هبل واللات بلغة العجم"

فتحول إلى وحش غاضب، لم يهدأ قط حتى مع محاولات أمي في إيقافه كان يريد قتل سامي وهو يردد عبارات غير مفهومة لـ "ذؤابة قومي كريم لا يقبل الذل"

واستمر في الرقض وراء سامي..

لكن بدأ يهدأ عندما أخذ يلاحظ نظرات أمي له وقال

وهو ينطفئ "لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دمًا"

مر الموقف بعد ساعة من محاولات التوضيح لسوء التفاهم، وجلسنا على السفرة أخيارًا..

وبصراحة أنا نادم جدًا على هذا التصرف لأن العواقب ستكون وخيمة والكارثة الكبرى ما حدث على السفرة فلم أكن قد علمت أبا جهل آداب الطعام واتيكيت القرن الواحد والعشرين..

لم يستخدم الملعقة بلا يده وكان يشم كل الأصنف بشكل مثير للغثيان، ويسأل عن نوعه بأسلوب محرج جدًا..

وبدأ الأكل دون أن يبالي أو ينتبه لنظرات أمي الشاخصة..

لقد كان منهمكًا جدًا ويأكل في نهم..

رحلت في نهاية اليوم خالتي، واستطاع الجيران سماع صوت صراخي أنا وأبو جهل والعصي تتكسر على أجسامنا من فرط غضب أمي...

وبعد المعركة قال أبو جهل وهو معي في الغرفة يلهس

- أعدني إلى زمني يا عبقرينو لا أطيق العيش هنا..

- وحياتك ولا أنا، أنا شغال على الآلة اللي هترجعك وغدًا سأعوضك عما حدث.

- عبقرينو هل كل النساء هنا كأمك، لقد أصبحت أخافهن.

- كدا من يومين في الزمن الجميل دا بقيت تخاف من الستات ؟! على العموم ليس كلهن كأمي وهذه مفاجأة الغد ستأتي معي إلى المعهد..

- لقد انقلبت الموازين في زمانكم يا رجل، إذا ما المعهد؟!

- بكرة هتعرف...

في تمام الساعة السابعة كان أبو عكرمة أمام المرآة يهندم ملابسه وينظر إلى نفسه في عزة وفخر...

- ملابس زمانكم غريبة جدًا يا عبقرينو

- غريبة اي دي أشيك حاجة أنت تعرف التيشرت اللي عليك دا بكام ؟!

- وما الشياكة ؟

- لا مش وقته أسئلة احنا هنتأخر كداع المشوار.

خرجنا من المنزل وركبنا الاوتوبيس في دهشة من أبو جهل وسرور..

- هذا الدابة الحديدية رائعة !!

انتبه أحدهم إلى غرابة كلام أبو جهل لكن ظنه يمزح فنظر وابتسم.. ولاحظ أبو جهل أن هناك من يحاول نشل الرجل نفسه الذي تبسم لنا من ثوانٍ فقط..

فأمسك به وصاح في وجهه وهو يضربه بعد أن أحبط محاولته ورد المسروق إلى صاحبه فشكره الناس، وشكره الشخص الذي كاد ان يسرق

-أنا أستاذ فريد أستاذ التاريخ والفلسفة وشكرًا لحضرتك

لم يرد عليه أبو جهل إلا بإيماء برأسه فقط فأحس الرجل بالإحراج فتدخلت قائلًا..

- أنا عبقرينو ودا صاحبي عمر من بدو الواحات..

تمتم الرجل وأعطاني الكارت الخاص به وأعطيته الكرت الخاص بي وبالمكتبة..

وصلنا إلى محطة المترو وشردت عين أبو جهل وكان يتلفت وهو منبهر جدًا، أمرته أن يبقى دون أن يتحرك لأقطع التذكرة لكن الصدفة جمعتنا بأستاذ فريد مرة أخرى والذي قطع لنا التذاكر، وعلى الرصيف ونحن ننتظر المترو قال فريد لأبو جهل..

- مقولتليش أنت اسمك اي؟

رد ابو جهل دون وعي منه فقد كان يحملق في المكان حوله ..

- أنا عمرو بن هشام المخزومي..

رد فريد وقال وهو يضحك

- أبو جهل يعني

فاحمر وجه أبو جهل وكاد أن ينهال عليه بالضرب بعد أن أحكم قبضته على تلابيبه

لكنه انتبه و انا اقول له وأنا أضحك بشكل مبتزل

- دمك خفيف يا عمور

ومر الموقف ولكن التعجب والتسألات كانت تدور في رأس أستاذ فريد وفي المترو لم يتغير سلوك أبو جهل الذي بدى لبعض الشباب أنه معتوه وبدأوا في التنمر عليه لم ينتبه من فرط اندهاشه..

ولكن في الازدحام الشديد وصل تنمرهم إلى الضرب و الوخز و هو لا يعرف من أين يأتي هذا الضرب حتى لاحظ وأخذ يتشاجر في الزحام..

ولسوء الحظ فُتح الباب وأخذت الجموع في التدافع أناس يدخلون وآخرون يخروجون وكان القلق ينخر في عظمي ليغلق الباب، فلا أجده ابو جهل في الداخل ..

لقد أُخرج في محطة "العتبة"

وصلت إلى المحطة التالية وغيرت وجهتي لأعود إليه وقد استمر البحث عنه أكثر من خمس ساعات ولكن للأسف لم أجده..

حتى أصبحت أشك أن ما حدث لم يكن سوى حلم

أخرجت هاتفي لأجد صورتي معه، وسألت أحد المارة "هل ترى في الصورة شخصًا واحدًا أو اثنين؟" قال اثنين وهو يظن أني مجنون اتصلت بأمي أسألها عنه وأكدت لي أنه لم يكن حلمًا ولكنه الآن قد تاه مني...

كانت الذكريات تصول وتجول في رأسي عن أبو عكرمة منذ أول يوم التقيته وعندما ضرب بربش وأعوانه وعندما ركض وراء ابن خالتي ويوم أمسك باللص في الأتوبيس يوم أن فقد..

إنه الآن تائه بلا مأوى وقد يُعتَقَل لعدم امتلاكه إثبات شخصية وسيُتَّهَم بالجنون إذا اعترف وأخبرهم عن حقيقته...

لم أيأس بسهولة علقت الإعلانات الورقية "رجل مفقود أربعيني طويل القامة وعريض المنكبين اسمه عمر ولهجته غريبة"

كنت أخرج كل يوم من بيتي أبحث في أرجاء العتبة الي رمسيس، مر الوقت سريعًا أسبوعين وثلاثة وشهر ولا أثر له..

لكني لم ولن أنسى سأظل أبحث حتى آخر نفس في حياتي إنه الدليل المادي الواحيد على اختراعي..

***

وفي مساء يوم الأربع بعد اختفاء أبو عكرمة بسبعة أشهر..

وأنا جالس في المكتبة أتناول الشاي وأقرأ كتابًا.. جاءت الزبون التي لا تتكلم إلا نادرًا من فرط حيائها.. داليا جمعة

- مالك يا أستاذ عبقرينو بقالك فترة مش على طبيعتك..

قالت تلك الكلمات في ارتباك شديد بعد أن أخذت الكتاب المراد.

- مش عارف أقولك ايه يا أستاذة داليا أنا شكلي كدا هتجن قريب.

- متقولش على نفسك كدا أنت إنسان محترم ومثقف ومميز وتستاهل كل خير.

اعتدلت في جلستي وخلعت نظارتي إنها المرة الأولى تقريبًا التي أسمع فيها كلام حلو في حقي و مِن مَن ؟! قولت أنا أتلعثم

- أنا أول مرة حد يقولي كلام حلو بالشكل دا..

ابتسمت في خجل وهي تدير وجهها خجلًا مني، كان اللون الأحمر في وجهه يفصح عن ما بها، كانت تشبه الشمس وقت الغروب، كنت ولأول مرة أدقق في وجهه، تعابيرها، وملامحها الهادئة التي كانت كإعلان للهدنة في وسط المعركة، بينما كنت أنا الجندي المصاب الذي يأس من الحياة..

قالت دون ان تنظر لي

- عارف يا أستاذ عبقرينو في ناس كتير بتقول عليك مجنون، بس أنا شايفة إن دي حاجة حلوة أصلًا، قرأت مرة "إن لم يقل أحدهم على الأقل عنك مجنون فأنت لست جيدًا بما لا يكفي"

وأضافت قبل أن تغادر وهي تتجنب النظر الي عيني و في ارتباك..

- أنت مميز جدًا على فكرة ..

كان البريق في عينها كسحر، أصاب قلبي فنال منه وتفشى في جوارحي، غادرت لكنها أخذت شيئًا من روحي معها،

و ما يستدعي التعجب أني اعرفها منذ زمن طويل، لكني اشعر أن هذا لقائي الاول بها..

جاءت لتأخذ الكتاب فإذا بها قد أخذت قلبي..

إنني ورغم تنوع أطوار حياتي لم أخض أي تجربة مع الحب، ولم أتصور يومًا أني قد أُعجب أحدهم حتى.

لم يمر الكثير حتى أخذني خيالي إلى رحلة طويلة انتهت بزواجي بداليا، نعم، إنها هي الوحيدة التي ترى مني إنسان مثقفًا ومميزًا وهي كذلك تحب القراءة.

وبينما أنا هائم وسارح في خيالاتي إذا بالهاتف يرن

- ألو مين؟

- أيوة مش حضرتك اللي بتدور على أبو جهل؟

صعقني السؤال فأنا لم أقل في الإعلانات أبو جهل من الذي عرف السر

- لا حضرتك أنا بدور على صديقي عمرو

- يا شيخ دا اللي من الواحات ؟!

- أيوة أيوة

- عمرو بن هشام المخزومي اللي حضرتك جبته بآلة الزمن.

لم أعرف ماذا أقول وكان الصمت جوابي فأردف هو.

- أنا عارف كل حاجة وهرجعه ليك كمان بس أعرف قصة الآلة بس.

- طب طب ماشي أقابل حضرتك فين ؟!

- أخرج بس من المستشفى و بكره هرجع أتصل بيك

- حاضر طب اسم حضرتك اي؟

- أنا فريد أستاذ التاريخ..

وأغلق الخط....

رغم حيرتي الشديدة، فإني أصبحت في منتهى السعادة، لقد عاد المفقود دليل عبقريتي ولدي حبيبة محتمله، ألف حمد وشكر ليك يا رب..

وفي اليوم التالي لم أخرج من المنزل كنت في انتظار اتصال

أستاذ فريد حتى رُفع أذان العصر، حينها اقتحمت أمي الغرفة كرجال الكومندا

- ما تقوم يا موكس تفتح محل أكل عيشك بدل ما أنت في البيت زي النسوان.

بالطبع لم أجادل وذهبت الي المكتبه، وهناك سحبت كتابًا عشوائيًا لأقتل الملل، إن كل العاشقين للقراءة لم يكونوا سوى أبطال بواسل أرادوا قتال الملل والكآبة.. وبدأت اقرأ..

"إن السيد والعبد يبقيان غير راضين لأسباب مختلفة فالسيد هو إلى حد ما أكثر إنسانية من العبد لأنه تطوع إراديًا لتجاوز طبيعة بيولوجية نحو غائية غير بيولوجية وهي أن يكون معترفًا به فلدى مخاطرته بحياته يبرهن على أنه حر وإنسان، أما العبد فهو يتخلى عن تلك الإنسانية خوفًا الموت العنيف، ولهذا السبب يبقى حيوانًا ضحية الحاجة الخوف غير قادر على تجاوز تحديده البيولوجي الطبيعي" إذًا يبقى السبيل إلى التحول من العبودية إلى السيادية، ومن الذل إلى الكرامة ومن الاستكانة والخضوع إلى الحرية، يكمن في

تخطي المخاوف ومواجهة الأخطار، وهكذا نرتقي ونتحرر من قوقعة الدوافع البيولوجية، إلى دوافع وغايات أكثر إنسانية كالكرامة والشرف والعدل، وبذلك فالإنسان في حفاظه على أمانه الشخصي متحاشيًا الأخطار ساعيًا وراء لقمة عيشه يقيد نفسه ويكبلها ويفقد إنسانيته...

برضو مش هواجه داليا بإعجابي اللي بقا حب من ليلة..

وإذا بالشمس تشرق من جديد في عز الليل

- أستاذة داليا أهلًا وسهلًا نورتي

- الله يسلمك أنا جاية عشان أرجع الكتاب..

لاحظت عيني التي كانت تغرق في عينها فأردفت في حياء وارتباك

- أصل الكتاب كان صغير فخلصته على طول..

وكنت أرد كالمسحور دون أن أنتبه لما أقول

- أنا مستنيكي من وقت ما أخدتي الكتاب.

- إيه دا بجد واضح إن حضرتك بتهتم بزبينك

- إن جيتي للحق أنا بهتم بيكي أنتي..

لم أعرف كيف تجرأت على تلك الكلمات، حدث الأمر بشكل عفوي ..

حتى أني لما انتبهت لما قولت تلجلجت وارتبكت كثيرًا وحل بها ما حل بي، والصمت الذي عم جعلني أشك في مشاعرها نحوي، لكني تأكدت لما بدى لي من عينها ..

أن للأرواح لغة تتجلى في نظرات الأعيُن..

وبعد برهة من الزمن أضفت محاولًا إنقاذ الموقف

- أنا كنت حالًا بقرا الكتاب دا اسمه "نهاية الزمان والإنسان الأخير"

كنت ممسكًا الكتاب بيدي وسألتها إن كانت تريد أن تعرف شيئًا عن محتوى الكتاب، ارتبكت ولم ترد فلم أبالِي لارتباكها هذه المرة، فحالي لا يختلف عن حالها وأضفت ..

- طب ممكن أكلمك عن محتوى الكتاب واحنا بنشرب قهوة في مكان عام.

- أستاذ عبقرينو...

قالتها وهي مفعمة بالخجل وعاجزة عن الكلام، شعرت أنها تريد الموافقة لكن الخجل حال بينها وبين ذلك، و أضفت

- في كلام كتير عايز أقولهولك مش بس عن الكتاب دا..

وأردفت وأنا أشير إلى نفسي بسبابتي

- و عن الكتاب دا..

- نمممم مش عارفة أقولك اي بصراحة.

- أنا عايز رقم تليفونك ساعتها نقدر نحدد مكان نتقابل فيه وفي الوقت اللي يناسبك ..

خرجت الجميلة التي أسرت قلبي بعد أن أحصلت علي رقمها، خرجت من المكتبة ونظرت إليها وهي تمشي على استحياء ..

لا أعرف كيف فعلت هذا ! وكيف أخذت رقمها وكيف ! واضح فعلا ان كل واحد فينا جواه قوة روحية بتخرج كدا لما يحب..

الحب يحول المرء تحويلًا جزريًا، يضفي شخصيته الجدية

ويغرقه في حب التأمل، وإعادة النظر إلى الحياة وبشكل مختلف..

لقد كان قلبي مشغولًا بالدنيا عن داليا حتى وقعت في بحر عينها ومنذ تلك اللحظة لم أستطع النهوض، وصدقًا أنا لا أريد النهوض أصلًا..

في اليوم التالي كنت جالسًا في داري في غرفتي تحديدًا، كنت على المكتب مستندًا عليه بمرفقي وذقني على كف يدي، والبسمة مرتسمة على وجهي عريضة، وعيني شاردة يبدو أنها أدمنت الشرود منذ أن اتصلت بعين تلك المليحة..

كنت أتخيل ما الذي سيحدث سأتصل بها اليوم في الوقت المناسب وسنتحدث ويمكنني أن أرسل لها رسالة نصية أولًا بحيث أفقدها شيئًا من ذلك الخجل..

أنا جديد في هذا ربما أرسل لها "صباح الخير" أو "بخ" من باب المزاح، و فزعني صوت هاتفي إنه الأستاذ فريد يرن متأخراً عن المعاد بيوم

- ألو أجيلك على عنوان المكتبة اللي في الكرت دا إمتى؟!

- في أي وقت الوقت اللي يناسبك، أبو جهل هيبقا معاك؟!

- لا طبعًا دا لو شفني يقتلني.

- أنا جيلك مسافة السكة

- أنا في انتظارك..

أسرعت إلى المكتبة وجلست أنتظر الأستاذ فريد..

ولم يمر من الزمن سوى ساعة حتى وصل..

- اهلا يا عبقرينو..

وقبل أن أرد أردف قائلًا..

- أنت فعلًا عبقري فين الاختراع لازم أشوفه.

كان جاحظ العين مريب الشكل وعلى وجهه العديد من الكدمات..

وأخذته إلى البيت ورأى الآلة بنفسه، لكنه لم يصدق قال إنه يستحيل أن تكون تلك الخردة آلة الزمن، وانتهى الحوار بعد ثرثرة كثيرة، وأعطاني العنوان الذي يُفتَرَض أن أجد فيه

أبوجهل وقد وصفه وصفًا دقيقًا...

وصلت إلى المكان المحدد في العتبة، حيث انه قال لي إنه يعمل هناك كبائع للملابس في مكان معين..

هل هذا هو لقد تبدل شكله تمامًا، أعتقد أنه هو، دنوت منه لكنه لم يكن منتبهًا، كان ينادي بقوة "الحتة بخمسة وعشرين وصلي ع النبي صلي"

كان يرتدي تيشرتًا ضيقًا أظهر عضلاته المفتولة وكانت عروقه مكتظة من رقبته

- أبا الحكم..

نظر إلي وتخشب في مكانه، أراد أن يبكي لكنه تمالك نفسه، واقترب مني وضمني وقال ..

- أخيرًا انتظرتك كتير يا صاحبي وحشتني يا شق ..

- أنت عامل إيه أنا مبطلتش بحث عنك، أنت اتغيرت خالص بقيت مصري..

- طبعًا بقالي ست شهور شغال في العتبة ومن عاشر القوم بقا..

وبعد حديث طال ذهبنا إلى المنزل...

وضع أبو عكرمة يده على منكبي وقال بعين شاردة وحاجبين منقطبين

- أين كنت يا عبقرينو ؟ لما أضعتني ؟ ألم تكتفِي بالمرة الأولى عندما أتيت بي إلى هنا !؟

- غصب عني أنا مبطلتش بحث عنك، بس أنت اتغيرت كتير..

تنهد وقال بشكل درامي

- الإنسان كما يتصف بصفات أبيه ويتطبع بطبعه ويكون شبيهًا له فإنه كذلك ابن بيئته، وطالما العالم يتصف بصفاتٍ سنصبح أشبهًا له، و المجد كل المجد لمن استطاع الثبات دون تغير...

- أنت اتعلمت كتير من التجربة دي احكيلي بقا ايه اللي حصل وإيه حكاية أستاذ فريد معاك ؟!

- سأخبرك بكل شيء وبقصة هذا الملعون

عندما ضعت منك أول مرة ولم أجدك مر الوقت سريعًا

وبدأت أشعر بالجوع والعطش وألم الصداع بسبب الزحام، كنت أجلس على الأرصفة، ولاحظ أحدهم تيهي، وكان بائع اسمه الحج محمد قدم لي الطعام وتعرف إلي ورويت له القصة

المزيفة طبعاً وأخبرته أني تائه وعندما فشل في اعادتي الي حيث اريد قال لي إنك تبدو قويًا وعرض علي أن أعمل معه وقد وافقت، واستمر العمل معه خمسة شهور تقريبًا تعلمت فيها الكثير وخضت فيها المغامرات وسافرت معه في رحلة تجارية ..

إلى أن جاء ذلك اليوم وسمعت ذلك الصوت الذي قال "يا سيد بني مخزوم" كنت منهمكًا في عملي لكنه لفت انتباهي، أحدهم يعرفني فنزلت إليه، ولما تفرست في وجهه تذكرته، كان الرجل الذي أنقذته من اللص..

أخذني إلى داره وأثنى علي لشرفي في قومي وخرجت معه نتجول أحضر لي الثوب والطعام والخمر وحتى النساء..

أخبرني أنه ملحد لا يؤمن بالله وأن له صُحبة مثله في مجموعة اسمها "أبناء الطبيعة" يتجمعون مرتين في الأسبوع

في منازلهم بشكلٍ دوري وهي مجموعة كبيرة تضم ما يقرب من ١٠٠ شخصٍ..

تعرفتهم وجالستهم وقضينا الأوقات معًا، أصبحنا أصدقاء وأصبحت ذا سمعة ومحبوبًا في تلك المجموعة، ولم يعرف سري سوى فريد..

في ليلة كان التجمع عند فريد قام ليخطب في الناس وقال "علينا أن نبارك اليوم لأخينا توفيق وأخينا حسام على زواجهما" كنت جالسًا فقمت ما الذي سمعت وكيف يتزوج الرجال بعضهم نظرت لأتأكد ربما هناك امرأة اسمها حسام أو توفيق لكني رأيتهما حسام وتوفيق وهما يتبادلان القُبل والجميع يسقف لهما..

لم أتحمل جال الغضب وصال في جوفي رميتهما بالكرسي الذي كنت جالسًا عليه ورحت أضرب كل الموجودين..

حاول بعضهم إيقافي لكن لم يستطيعوا فبدأوا في الهرب مني حتى انفردت بفريد وأرغمته على أن يرجعني من حيث أتى بي..

وبمجرد أن وصلنا حتى أبرحته ضربًا، صحيح الناس هنا في هذا الزمان فور أن يرونك تضرب أحدهم لا يسألون عن سبب إنهم فورًا يشاركون معك في الضرب، وهذا ما حدث تركته غارقًا في دمه..

وعدت إلى العمل وأصبح كل شيء عاديًا حتى عدت لي من جديد يا صديقي....

كنت أستمع في دهشة و تعجب

- يا الله كل دا حصل فريد طلع ملحد تصدق كنت شاكك فيه على العموم أنا هسعى بكل جهدي إني أرجعك زمنك..

- نعم أتمنى منك كدا فعلًا يا عبقرينو.

***

بعد يوم كامل من الراحة بدأنا يومًا جديدًا أنا وهو في المكتبة..

رغم انقضاء شهور على غياب أبو جهل من المنطقة، الا ان الناس كانت تتذكره ويسلمون عليه فهو الذي ضرب بلطجي الشارع حتى بلطجي الشارع نفسه جاء وجلس معه بعض الوقت..

ثم خرج هو ليتفقد الشارع وتركني شاردًا أفكر في كل الأحداث التي حصلت وبينما أنا كذلك إذا بصوتها يقع في مسمعي..

- أستاذ عبقرينو..

وفور سماع هذا الصوت انتقلت من عالم الدنيا إلى عالم الحب..

- أنا آسف جدًا كان المفروض أتصل عليكي بس أنا أنا كنت خايف..

- ولا يهمك براحتك..

قالت تلك الكلمات في خجل أما أنا فقد انتابني الخزي والندامة على ذلك التقصير.

فوقفت أمام أرفف الكتب تبحث بعينها.

أما أنا، فلم أكن أبحث فعيني تعرف أين تنظر تلك الجميلة الخجول التي تحب القراءة ما أجمل الأنثى حين تكون محبة للكتب..

داهمتها بكلماتي النابعة من نغشيش فوأدي كاسرًا كل الحواجز وبكل ما أوتيت من نبض قولت

- ليل نهار بقيت أسرح أفكر فيكي أنا بحبك يا داليا بحبك بحبك جدًا من قلبي.

تورد وجهها وابتسمت بسمة شرحت قلبي، لكن البسمة لم تستمر كبحتها عمدًا شعرت بها والخجل مستحوز عليها لم تستطع أن تتكلم تنهدت واستجمعت طاقتها وقالت في تلعثم..

- أنا عارفة الشعور دا كويس أنا عايشاه من وقت ما أنت فتحت المكتبة..

لم أستطع استيعاب الكلام من جماله كنت مأخوذًا بطلتها وروعتها واستغلت الصمت الذي لم يدم إلا ثوان وخرجت مسرعة...

لقد كنت أحمق قضيت عمري كله في منافسة من لا ينبغي منافسته من أجل ماذا ؟ مقارنات أمي المستمرة جعلتني أخوض بحرًا غير بحري حتى غدوت شخصًا آخر غريب حتى على نفسي، أضعت عمري دون أن أنتبه إلى تلك الجميلة المغرمة بي، ان للحب القدرة علي ايقاظك ورفع مستوي وعيك بنفسك ..

- أعرف جيدًا تلك العين أنت واقع في الحب يا عبقرينو

كان أبو جهل الذي عاد إلى المكتبة، ونظر إلي فإذا بي شارد لا أدري أين أنا..

نظرت إليه مبتسمًا لم أقل شيئًا فقد جاء إلى المكتبة زبون..

إنها بسمة هي الأخرى تسكن في الحي إنها في كلية الإعلام جميلة وممشوقة القد، وتهتم لمظهرها وملابسها، وربما اعتقدت أن القراءة والثقافة موضة وصيحة هذا

العصر، فهي تأخذ مني الكتب باستمرار لكن لا أعتقد أنها تقرأ...

- إزيك يا عبقرينو

- الله يسلمك..

- عندك رواية موسم صيد البط؟

- لا اله الا الله لحظه هشوفهالك ثواني

وبينما كنت أبحث لها عن تلك الرواية، إذ سقط بصري على أبو جهل الذي كان ينظر إليها متأملًا شاردًا ضائعًا هائمًا في وادي الحب عائمًا غارقاً. ثم قال لها

- ما اسمك؟

فأجابت

- ليه في حاجة..

كنت مرتعبًا خفت أن يتصرف بشكل غير لائق

- فقط أريد أن أعرف..

أسلوبه العميق ونبرة صوته جعلتها تجيب دون وعي..

- أنا اسمي بسمة

- والله قد صدق من سماكي رسمتي البسمة في فؤادي وخلتك ملاكًا لا يراكي سوايا، جفيا عطرًا يفوح شذًا أذبتي روحي، يا ذات السحر الأخاذ..

انبهرت بسمة و لمعت عينها، وأعتقد أن قلبها أخذ يرفرف في جوفها فلم يجسور أحد أن يقف أمامها ويقول مثل تلك الكلمات، لأن الجميع يعرف أنها رفعة حاجبها ومحدش عجبها..

فقالت وهي هائمة:

- هو حضرتك أديب كلامك جميل.

- لا جمال في حضرتك فأنتي الجمال بعينه

و أردف أبو جهل يُعَرِّف نفسه

- أنا اسمي عمر هاشم من الواحات صديق عبقرينو وأتمنى أن أنال وصالك..

- دا شرف ليا أنا بسمة أحمد

- حضرتك ليك دواوين؟

تدخلت قائلًا في تلعثم

- لا لا لا عمر فنان هاوي شعبي يعني معروف على مستوى الواحة أصله مش بيحب الشهرة..

فرد قائلًا..

- نعم نعم أنا كذلك

- طب إزاي أقدر أتواصل مع حضرتك؟

أعطيتها رقمي أنا وأخذت هي رقمي و اخذت للرواية و انصرفت ..

حتى إذا اتصلت أعطيت الهاتف إلى أبو جهل الذي كان مبتسماً بالطريقة البلهاء نفسها التي لا تناسب إلا أهل الحب..

قال في شرود بعد أن غادرت

- يبدو أنني سأبقى معك في هذا الزمن يا عبقرينو..

تمتم ثم لاذ بالصمت فوقع في خلدي أنه قد تعلق ببعض

الأمور في زمننا فسألته فكان الرد عكس ما توقعت..

- لا يا عبقرينو لقد رأيت الويل والوهن في زمانكم، الرجال هنا أقصد من يفترض أنهم رجال يتزوجون الرجال، ولا أحد يبالي لذلك، الأبناء هنا يعقون آباءهم، ولا أستطيع أن أفرق بين الحرة والبغي ذلك لأنكم أوقفتم وأد البنات، لا أدب لا بلاغة لا شهامة ولا مروءة، ولا أعرف لما العبوس يكسو كل الوجوه، كما أنكم أفسدتم اللغة العربية لقد مرض لساني بكلامكم، وأيضًا لِمَ الكل سخيف وتافه هنا ها

كان يتحدث إلي بحرقة كان مغتاظًا وبشدة..

- بس بسمة عجباك مش كدا..

- نعم لكنها لا تبغى الزواج والاستقرار كسائر النساء هنا، إنها تريد خدن لا زوج، فلا يغازل الرجل امرأةً يريد زوجها على قوارع الطرق.. دي عايزة ارتباط بدون قيود يسطا؟

واستمر النقاش والحديث وبعد ساعة وربما اثنين رن

الهاتف..

- الحق يا أبو الحكم بسمة بترن عليك دي شكلها واقعة جدًا..

- طبعًا لم أرَ في زمانكم من يملك لحية حمرا كهذه، هات التليفون.

فتح الهاتف وجلس في أحد الأركان على الكرسي وأخذ يتحدث بصوت خافت والبسمة على وجهه، وكيف لا فهو يُحَدِّث بسمة..

صحيح راح زمن الجاهلية الجميل مش دا اللي كان بيدفن البنات ويقول الليل خمر ونساء في الفيلم، بقا بيتكلم بصوت حنين.. إن لله وإن إليه راجعون..

وبعد مرور ما يقرب من أسبوع وفي تمام السابعة من يوم الخميس، كنت جالسًا في غرفتي أنا وأبو عكرمة نأكل البيدزا التي تشبه الكيك والمعدودة منزلين، وأفكر في طريقة إصلاح الآلة وأقوم ببعض الصيانات والمحاولات والتي كانت دائمًا تبوء بالفشل..

- واضح كدا يعمرو إني هضطر أستعين بواحد أنا مش بطيقه خالص المهندس سامي وهو الوحيد اللي أقدر أكلمه عن موضوع الآلة ويسعدني أرجعك..

رد وهو يأكل في نهم

- مفيش مشكلة مفيش مشكلة

- أنت مركز معاية ولا أنت فين؟

رن جرس البيت وعقبه صوت أمي المدوي "أم افتح يا زفت"

فتحت الباب فإذا به العم شكري جارنا ببذلة الموظفين القديمة وبقبعته الصوفية الذي لا يتخلى عنها حتى في عز الحر..

- ياض يا عبقر فرح البت بنتي بكرة يوم الجمعة والحنه انهارده أنا كنت باعت الدعوة للحجة أم أشرف من فترة بس قولت أفكرك لاحسن متجيش

- لا إزاي طبعًا نازل وراك أهو عشان أساعد مع الرجالة..

- مهو دا العشم بردو وعقبالك يا عبقر.

عدت إلى الغرفة وقولت وأنا أصرخ لأبو جهل "عندنا مغامرة جديدة انهارده"

خرجنا من المنزل واتجهنا إلى منزل عم شكري القابع في الشارع المجاور لنا، ألقيت السلام و التحية علي جميع الموجودين، يوجد عدد كبير من الشباب والأطفال ..

سماعات الدي جي تعد للعمل، والشباب يعملون، البعض يرتب الكراسي والبعض يرسم الصور على الأرض باستخدام نشارة الخشب الملونه، الكهربائي يعلق الأسلاك الكهربائية وأفرع اللمبات..

وصوت الموسيقى الشعبية تتسرب من بيت عم شكري وعلى ألحانها تحلق بعض الأطفال وأخذوا يرقصون، ومن البيت وإليه أناس تدخل وأناس تخرج وأصوات الزغاريط تصدع في المكان..

كان أبو عكرمة يتأمل في كل شيء في تعجب لكن لم يمر الكثير من الوقت على هذا الحال، فقد اندمج في العمل مع

الشباب..

وفي أثناء العمل جاء الدعم من دار عم شكري أطباق الطعام للرجالة المحشي البشميل و اللحم، لا شئ اجمل من الروح الجميلة واللمة..

وبعد انتهاء العمل جلسنا علي الكراسي نلتقط أنفاسنا، وبينما نحن كذلك قال أحد الموجودين "مش هتعرفنا بصاحبك يا عبقرينو؟" وكانت المفاجأة..

- أعرفكم بنفسي أنا عمر هاشم من الواحات أديب محلي هاوي..

تعرف إليهم وتعرفوه اليه، واندمج معهم وصار يمازحهم ويمازحوه، واستوقف الجميع صوت الأغاني التي خرجت من سماعات الدي جي بصوت عالٍ، فأخذ البعض يرقص واكتفى البعض بالتصفيق وترديد ما يسمعون "اديك في السقف تمحر اديك في الأرض تفحر"

أما أبو عكرمة، فبدى عليه الاستياء والحيرة واستهجن ما يحدث خاصة عندما شده أحدهم يديه ليرقص معه..

وعدنا إلى المنزل لنبدل ثيابنا ولنعود وقت ابتداء الحفلة، فقال ابو جهل أثناء ذلك "ايرقص الرجال في زمانكم دون حياء يا عبقرينو تلك ليست المرة الأولى التي أرى فيها هذا لكن ما زال هذا المشهد مثير للغثيان"

لم أجد ما اقوله ...

وعندما عدنا وجدنا المكان قد تبدل وتغير بالكامل أصبح مزدحمًا ويعج بالشباب والبنات والكل مزين بأفضل ما يملك من الملابس، والبنات كما تعرفون، عند الحيوانات موسم تزاوج مرتبط بالزمن، أما نحن البشر فموسم التزاوج مرتبط بالمناسبات والاماكن.

وفي الزحام حلاقات متعددة هنا وهناك ذكران وأناث يرقصون ويرتعون ويضحكون..

وعلى المقاعد عند الأطرف حيث تضعُف الإضاءة هناك من يتعاطى المخدرات ويشرب الكحول..

ارتسمت البسمة على وجهي وتحمست واقتربنا من أكبر الحلاقات، وكانت مقسومة نصفين نصف الشباب ونصف

بنات والعروسان في المنتصف والكل يرقص، على كلمات الفنان حسن الأسمر "كتاب حياتي يا عين" بالطبع أمزح أغنية "أعملك اي حيرتني" أو ربما "شيك شاك شوك" لا فرق كلهم ضجيج..

شد أحدهم يدي ويد أبوعكرمة للمشاركة في الرقص فانفجرت طوعًا أما هو فتخشب متحفظا وظللت أرقص بينما هو جاحظ العين مزهولًا مما أفعل و يري

شدني من يدي وقال في أذني "يا عبقرينو "أكل هؤلاء بواغي؟؟" صعقت من سؤاله ..

خذته بعيدنا لما ادركت أنه يقصد البنات اللواتي يرقصن، حاولت أن أوضح له قبل أن يعرض حياته للخطر بما يقول، فقال

- الحرائر لا يرقصن، ولا يرتدين ملابس كتلك الملابس التي يرتديها أهل الرايات الحمراء لإغواء الرجال، ثم أين الرجال إن لم يكونوا بواغي وهم أحرار أين آباؤهم وإخواتهم أم أنهم قد غرقوا في مستنقع الدياثة النتن المتفشي في زمانكم هذا ..

- لا يا عم الست بس بتحب تبقا جميلة وبعدين هو أنت محور الكون عشان تبقا بتتجمل لاغوائك..

كنت أشعر أن أنفي أصبح مترين أو ربما ثلاثة، لكن في النهاية أقنعته بأن لا يتفوه بكل ما يجول في جوفه وعدنا إلى الحلقة نفسها..

ورأيت الحماسه تعج في عين أبو عكرمة ونظرت حيث ينظر وكان الأمر كما توقعت إنها بسمة في أبهى صورها..

والعجيب أنه أخذ يرقص وبطريقة غريبة مضحكة، نعم، ربما تستعرض الحيونات قوتها لإبهار الإناث وربما تتناطح ذوو القرون، أما نحن فقط نرقص..

وبعد فترة خرجنا من الحلقة لنستريح على المقاعد وقال وهو يهزي

"ستزني الحرة عما قريب في المستقل أمام زوجها وربما أبيها، وسيتمنا له التوفيق"

فقولت له في غضب...

- ايه بقا أنت هتعمل فيها فيلسوف ورائد الأخلاق مش

كان في تبضع في زمانكم بردو علي الاقل دلوقتي مفيش.

- نعم، كان يوجد مثل ذلك النوع ولكن من يفعل ذلك، يوصَم بالعار ولا يفعل ذلك إلا ديوث لا يغار ضعاف القوم وحثالته هم فقط من يفعلون ذلك وكنا نكره ذلك الفعل أما أنتم، فلا تكرهون ولا تنكرون، أنا أحمد الرب أن العرس ليس لرجلين..

أنهى كلامه وانصرف عني ولحقته، وبالصدفة سمع صوت بربيش كان في الأطرف مع مجموعة من البلطاجية يشرب المخدرات وذهب يجالسهم أوقفته لكن لم أستطع، كان غاضبًا..

تركته قليلة عله يهدأ وعندما عدت إليه ووقفت أمامه حيث يجلس طلبت منه أن يعود معي لنرحل لكنه تمرد..

قلت في غضب

- يلا يا عمر دلوقتي متعصبنيش..

رد أحد الجالسين في غضب بعد أن قام ودنا مني بشكل عدواني

- أنت بتكلم المعلم كدا ليه يلا غور من هنا..

- عمر أنت ساكت على اللي بيحصل دا ؟

قولت تلك العبارة وأنا على وشك أن أبلل نفسي خوفا، فرد هو في غضب

- اغرب عن وجهي كيف لي أن أسمح لحثالة مثلك أن يتحكم في و أنا من أنا شريفا في قومي ..

لم يكن يدري ما يقول لقد تعاطى الكثير من المخدرات حاولت أن أعيده لوعيه لكنه

وكزني وكدت أن أتعرض للضرب من رفاقه، فقولت في محاولة يائسة..

- لو مجتش معاية دلوقتي، فأنت من سكة وأنا من سكة..

- أنا مش محتاج لك وامشي بقا من هنا عشان هسيب الرجالة دي عليك..

كنت مصدومًا من ذا الذي كان يُحدثني لمٍ أصدق ما يحدث عدت إلى منزلي متهدل الزراعين محبطا، لكن لا مشكلة سأعود لحياتي ومحبوبتي ولن أبالي إلى الماضي..

استيقظت فجر اليوم لم يعد ابو جهل معي وأخذ قرار البقاء مع بربش وعصابته..

مضى الوقت سريعًا حتى أصبحت الواحدة ظهرًا عندها أخذت قرار الاتصال بداليا إنها الجانب المشرق في حياتي..

- ألو داليا معاية أنا عبقرينو..

- أهلًا وسهلًا يا أستاذ عبقرينو..

كنت حينها في حالة شديدة من الإرهاق النفسي مما جعلني في حاجة إلى السقوط مستسلمًا، وكانت داليا ملاذي الآمن الجنة الراحبة والشخص المناسبة فقولت

- وحشتيني جدًا ووحشني صوتك حاسس إني من زمان مشوفتكيش..

كنت قادرًا على سماع صوت شهيقها الناجم عن شعورها الفائض بالخجل، والتزمت الصمت عدة ثواني تسرعت فيها دقات قلبي، تابعت الحديث مرة أخرى محطمًا الصمت الذي لم ينل منا، وبحت لها عما بداخلي دون تردد..

- أنا مش عارف إمتى وإزاي حبيتك كدا مع إنك قصادي من زمان، معقول الحب بيتراكم من غير ما ناخد بالنا منه ؟! مش عارف بقا بس عارف إني بحبك يجوز المشاعر كانت مكنونة في قلبي من زمان، أنا لازم أشوفك يا رقية..

- أستاذ عبقرينو أنت دخلتني في صراع كبير مع نفسي، بس أنا هحسم الموضوع أنا عارفة إن حضرتك صادق في مشاعرك وإنك مميز وتتحب، وعشان كدا أنا هقولك الخلاصة أنا بيتي له باب وفيه راجل محترم، أنت لا يمكن تعمل حاجة تزعل راجل بيحبك جدًا، و كمان وبيشهدلك بالاحترام ومش هيتأخر عنك في حاجة، اقصد بابا، و لا تجعل الله أهون الناظرين إليك، ولو فعلًا بتحبني فأنا بابي وعنواني أنت عارفه..

بعد أن سمعت تلك الكلمات تغير انطباعي عنها تمامًا، أدركت من كلامها أن هناك فرقًا واضحًا جليًا كالشمس بين الخجل وبين الحياء، فهي لم تكن ضعيفة ضعف الخجل حين قالت ما قالت..

- أنا عايز أقابل أبوكي يا داليا..

قالت بعد صمت وفي بهجة.

- بجد؟؟؟

- أيوة بجد أنتي مش هتكوني لغيري أنا هفاتح أمي في الموضوع، وهكلم أبوكي في أقرب فرصة...

لم أنتظر حتى أخبرت أمي بما أنوي، وأني لن أتخذ قرارًا دونها فاستعجلتني فرحاً، فهي تحب تلك البنت، وكانت أمه رحمة الله عليها صديقة أمي العزيزة، ومن فرط سعادة أمي أطلقت زغروطة مدوية في السماء..

وقالت "يا فرحتي وأنا اللي خلاص قولت أنت زي أخوك ومش هتتجوز منتا أصلًا مش زي البني آدمين وعايش في عالم لوحدك.. بص بقا الحج أبوها هو اللي بيفتح الجامع في كل فرض تروح تصلي المغرب وتاخد من معاد"

داليا مثلي يتيمة لكنها يتيمة الأم وأنا يتيم الأب لها أخ واحد أصغر منها وأنا مثلها لكن انا الصغير، وأبوها رجل صالح زكي السمعة يصدع صوته بالأذان في اليوم خمس مرات فهو أمام مسجد الحي..

وبالفعل عند أذان المغرب ذهب إلى المسجد وكان هناك، وانتظرت حتى لم يبقَ سوى أنا وهو وكنت أعلم جيدًا أنه يبقى في المسجد كل يوم من المغرب إلى العشاء، فدنوت منه وسلمت عليه وحدثته قائلًا..

- أنت طبعًا عارفني يا عم جمعه..

- عز المعرفة المحترم ابن المحترمين، شاب نضيف ومثقف الله يحفظك.

- الله يكرمك والله يشيخ خالد ربنا يعلم بعزك أد ايه وبصراحة بقا أنا طالب إيد بنتك رقية وعايز آخد منك معاد آجي أنا وأمي نقرأ الفتحه دا طبعًا لو حضرتك وافقت..

- أنت فجأتني يبني والله مكنتش أتوقعها منك، رغم إني أتمناك بس أنت مش محتاج معاد أنت تشرف في أي وقت يبني وبدون رسميات، إحنا أهل وأنا فرحان جدًا، أنا موافق ودلوقتي الكلمة كلمة داليا ..

لم أتملك نفسي فقبلت رأسه وقولت له

- خلاص يعمي أنا هستنى منك أتصل بس بسرعة بقا

أنا على نار من دلوقتي..

تهلل وجهه وتشرب بحمر من الحياء وقال

- ربنا يسعدكم يا حبيبي ويقدم اللي فيه الخير..

وبعد هذا اللقاء أرسلت لداليا رسالة على هاتفها مأخوذة من قصيدة كنت أحفظها "قالو تسلي عن المحبوب قولت بمن؟ إن التسلي حرام في مذاهبنا فكيف أرضى بكفر بعد إيمان فشارب الخمر يصحو بعد سكرته وشارب ًالحب طول العمر سكران"

كنت في غاية السرور والسعادة، وكانت الخيالات السعيدة تراوضني متعاقبة حتى خلت نفسي أبًا وكانت تلك الفكرة لأول مرة تراوضني،

وأتصورها مما جعل الحنين والدفء يتدفقان في عروقي، ورغم تلك المشاعر السعيدة،

فإن شعورًا مزعجًا كان ملازمًا للسعادة كان متواريًا هناك في دهليز وجداني يسترق السمع وينظر إلى خيالاتي ويضحك بطريقة تستدعي التوجس ويقول "ستكون أسيرًا

وحبيسًا ستقيد أجنحتك وستنسى الماضي لا خصوصية بعد اليوم والمسؤولية ستلتف حول عنقك كحبل المشنقة"

فزعتني تلك الفكرة لكني طردتها من رأسي فلا أريد أن أصاب بالأرق من الآن..

تعمل مصيدة الفئران على إغراء الفأر بقطعة الجبن الشهية يهرع المسكين دون عقلانية، فيقع في الفخ وتلك ميكانيزم الزواج

ورغم ذلك لن أتراجع عن قطعة الجبن الخاصة بي، أقصد جميلتي داليا فلقد تربعت على عرش قلبي دون صراع أو انتخابات، إنها الإمام المتغلب علي قلبي و الذي أعاد تشكيل نظامي العاطفي...

بعد شهرين تقريبًا كانت حفل خطوبتي على داليا، كان الحفل في منزلها واقتصر على الأقارب، لم يكن هناك زحام بالغًا، الحفلة كانت على الضيق..

كنت في غاية السعادة و أخيرًا سأتحول من أعزبٍ إلى خاطب سأودع أيام العزوبية وسأصبح مسؤولًا "ايه دا في

اي أنا اتسرعت؟"

الآن أدركت قيمة الحب والحكمة الإلهية في وجوده، فهو طعم فخ الزواج.

إذًا هل الحب دافع أم غاية ؟ أهو الهدف أم أنه الوسيلة ؟ ثم ولماذا تعمل رأسي بهذا الشكل ألست في حفل خطوبتي هذا الرأس اللعين دائما ما يسعى لعزلي وأخذي بعيدًا عن الواقع إلى دهاليز الفكر والفهلوة.. فلِمَ تلك التساؤلات الفلسفية الان و انا في خضم الحفل..

استيقظت من سبات الفكر على صوت مدوٍ لرصاصات اخترقت هدوء الحي وأضرمت الذعر في نفوسِ الحاضرين، وبدأت الناس تنظر إلى بعضهم للبحث عن جواب، هل قامت الحرب !

انتفض الحج جمعه ليغلق الباب بإحكام فالشارع تحول إلى ساحة معركة..

والآن الفضول قد يغلب الخوف أحيانًا استرقت النظر من البلكونة لأرى معركة بين أفراد عصابة قائمة على أشدها

كانوا يتبادلون إطلق النار ويحتمون في مداخل العمارات، وارتعدت عندما رأيت بعضهم في مدخل بيتي..

دققت النظر وكانت الصدمة أن أبا جهل ضمن أحد المستترين بمدخل بيتي ربما هو وربما لا، فلم تكن الرؤيا واضحة كنت أتابع للتأكد حتى شدتني داليا بقوة إلى الداخل وهي مرتعبة..

- أنت مجنون هتموت نفسك لما تجيلك رصاصة دلوقتي اقعد هنا متتحركش فاهم..

كنت أستمع إلى كلماتها التي قالتها في غضب وأنا في عالم سمسم دون أي مبالاة لتلك المعركة السخيفة، فمعركتي الحقيقية مع تلك العين الخاطفة والجميلة و التي تخاف صاحبتها علي .. فقولت و انا كالابله

- بحبك..

فوجئت لبرهة من ردي ثم قالت وهي تضحك والحمرة قد ملأت خدها

- دا وقته أنت بتهزر.

- مهو دا اللي بقيت متأكد منه إن الحب ملوش وقت محدد..

ارتفع صوت إطلاق النار كأن الرصاص أصبح يطلق من سلاح مختلف وعندها اختلست النظر وجدت سيارات الشرطة، وأفراد العصابة منهم من يسقط ويسلم نفسه ومنهم من يفر..

سكن فؤادي وذهب عن الناس الذعر، عندما أخبرتهم أن الشرطة وصلت، ولم يمر الكثير حتى فضت الاشتباكات وعاد الحفل بينما كانت رجال الشرطة تمشط الحي..

***

ارتميت على السرير بعد انتهاء الحفلة والسهرة مع رقية وقد بدلت ملابسي وانسدلت جفوني على عيني بانسياب بعد أن أثقلها التعب وبدأت في النوم..

"أعدني إلى زماني وإلا سأقتلك"

أفزعني ذلك الصوت، وصحوت من نومي وقلبي يخفق بشدة، اعتقدت أنه كابوس حتى تجلى لي واقفًا كالأشباح في الظلام، وقال وهو يشير بسلاحه.

- لا خيار لديك، أنت وأنا في مركب واحد أنت الذي جئت بي إلى هنا، وأنت المسؤول عني، أنا مطارد من الشرطة ومن رجال العصابة، التي انشققت عنها، ولقد أصبت الكثير من الدماء، وكثر أعدائي هنا والعصابة إذا جاءت إلى هنا ستقتل الجميع ولن أموت وحدي، وإن لم ترجعني سأقتلك ولن أبالٍي لذلك، وإن قبضت علي الشرطة فأنت شريكي فأجد حلًا لتلك المشكلة...

أدركت أنه لا يمزح وأن المشكلة أصبحت عويصة وأني

في ورطة كبيرة وبدأ عقلي يعمل على حل المشكلة..

- اهدى وأنا هلاقي الحل ممكن تقعد..

لم أكن خائفًا وهذا على عكس المعتاد بل أردفت في غضب

- مكنش دا كله هيحصل لو سمعت كلامي من الأول وجيت معاية.

فرد هو في غضب أشد.

- ولم يكن هذا ليحدث لولا عبثك الغاشم بالزمن أتعتقد أن الزمن لعبة.

أشعلت نور الغرفة، وأخذت أفكر لا خيار لدي سوى سامي ابن خالتي هو من الشرقية، ولن تصل العصابة إلينا هناك سنختبئ حتى نصلح الآلة وسيساعدني سامي.

لم ننم وفي السابعة صباحًا اتصلت على الحج سيد سائق السيارة النقل واتفقت معه أن ينقلنا اليوم إلى الشرقية، وأجريت اتصالًا آخر بسامي طلبت منه أن يجهز لي اليوم قبل الغد شقة بالإيجار أو حتى غرفة حتي.

ولم يمر الكثير من الوقت حتى أصبحنا على الطريق،

الحج سيد أنا أبو جهل والإله.

وصلنا -في امان المخرج عايز كدا- إلى القرية التي يعيش فيه سامي وإلى حيث يسكن.

بيت سامي واسع جدًا وله فناء وطرازه ريفي تقليدي، سلمت على خالتي وزوجها وكانت الآلة في الفناء..

ولما أصبحت أنا وسامي وأبو جهل معًا دون آخر، بدأت أقص عليه القصة..

لم يصدق في البداية ولكن أبو جهل أقنعه بنفسه فتيقن، خاصتاً بعد أن أجابه أبو جهل علي جميع أسئلته دون تفكير..

فانفجر دهشه كالمجنون وأصبح يرقص ويتقافز ويهزي قائلًا..

- أنت عبقري يا عبقرينو أنت اذكي إنسان دلوقتي أنت هتغير البشرية باختراعك..

حاولت أن أجعله يهدأ لكنه ظل يكرر

- أنت مش متخيل أنت عملت اي أنت عملت أعظم إنجاز أنت إزاي مش بتحاول تعمل براءة اختراع..

لم يهدأ حتى رويت له باقي القصة، والورطة التي أصبحنا فيها أخبرته بأني سأكشف اختراعي للعالم كله لكن بعد أن أرجع أبو جهل، للتخلص من المصيبة اللي انا فيها والتأكد من قدرة الآلة..

- هي فين؟

موجودة تحت يا سامي

- خلاص هنطلع ونشتغل عليها أنت بس تشرحلي إزاي بتشتغل وهنشوف ايه التالف ونصلحه..

لأول مرة أشعر بشيء من المحبة تجاه سامي وأنه ليس بهذا السوء الذي كنت أتصوره.

- تمام بس أنت جهزت المكان الشقة أو الأوضة..

- أيوة أنا هديك عنوان هتوصله وهترن على الرقم اللي هديهولك هينزلك راجل طيب اسمه عم شعبان هيخدك للشقة أنا متفق معاه على كل حاجة ودفعت إيجار أول شهر..

نصف ساعة وكنت في الشارع أمام بيت الحج شعبان الذي طل علينا من الشرفة بعد أن اتصلت عليه وقولت إني

تبع المهندس سامي وأخبرني أنه سوف ينزل في الحال لكنه تأخر...

كنا ننتظر وكانت الشمس تهوى مغربةً، الحي مزيج من العمران والحدائق الزراعية والشوارع مزدحمة بالأطفال والكثير من القطط الكلاب البط المعيز والبقر... رباه ما هذا المزيج العجيب..

وبدون مقدمات، وقف طفل أمام أبي جهل أعتقد أنه في الرابعة من عمره أو ربما في الخامسة، لم يكن يرتدي سوى تيشرتاً، وكان عاريًا تمامًا من الأسفل وقد أطلق العنان لنفسه و اخذ يروي الارض ..

لقد تبدلت تعابير وجهي وأنا أشاهد هذا الفتى يتبول أمامي وأمام أبي جهل حتى أغرق حذاءه وكان متخشبًا عاجزاً عن استيعاب ما يحدث ودون وعي دفع الصغير بقدمه أوقعه أرضًا، وأخذ يهزي في غضب، هدأت من روعه و انا ابكي ضحكاً، بينما الطفل كان يصرخ "ياماااااااااا"

ولم نلبس حتى لاحت في الأفق امرأة بدينة ضخمة الجسة تميل بشرتها إلى اللون الأسمر، ترتدي عباءة سودة وعلى

وجهها ملامح الغضب وكانت تقترب نحونا..

انبثق الذعر في قلبي عندما أشار الطفل الباكي إلينا بعد أن سألته المتوحشة "مين اللي ضربك يالاة"

نظرت إلى أبي جهل لأجد ملامحه لا تستقر من ملامح تبدي الغضب إلى ملامح تبدي الخوف الي أخرى تبدي الحيرة..

وما جرى كان صعب المضغ والاستيعاب، أمسكت المرأة أبا جهل من تلابيبه وصارت ترجه رجًا وهو لا يدري ما يفعل، ويردد دون إعقال "أما من سيد لكِ يا جارية أنزلي يدك"

ألتم الناس علي علي صوت الضجيج يشاهدون

أما هي، فلم تزدد إلا غضبًا وهي تقول "جارا اي يا رجل يا لمامة"

فلما وجدها تلتقط نعلها دفعها عنه بقوة، وكان يأبى فعل ذلك من البداية حتى لا يخرق المروءة.

وأراد أن يواري ما أصابه من الخزي، فقال كأنه يمزح

بعد أن صفعها على فخذها "والله لأشترينك ولاجعلنك عندي من جواري الاغتسال، أين سيدك؟"

كان الجميع مصدومًا مما حدث، بعض محاولين فض النزاع وأنا والجارية أقصد المرأة المخيفة، وبعد برهة من الصمت الذي طغي علي الجميع، انفجرت المخيفه تصرخ وتستغيث، وفي غضون دقيقة كنا محاصرين من مجموعة من الرجال المسلحين، التي اتضح لنا أنهم إخوة المرأة المخيفة، والتي قُص عليهم القصة بشكل يجعلهم يظنون أن أبو جهل قد تحرش بها وطعن في شرفها، وكان سفك دمائنا وشيك إلا أن رجلًا رشيدًا قال نأخذهم للعمدة..

وهناك عرف الجميع أني قريب المهندس سامي، فاتصل العمدة به للحضور، وكانت جلسة عرفية دافع فيه أبو جهل عن نفسه والحق كان معه..

لكن إخوة المرأة كانوا لا يغيرون رأيهم، وأن أبا جهل قد أتى بذنب لا يُغتَفَر فقد طعن في شرف أختهم حسب ما يظنون

وصل سامي و سمع ما جري فقال لكبيرهم "طب إيه

رأيك يتجوزها"

وارتسمت على وجوههم ملامح السرور، وعلمت أنها أرملة وتمثل عبءً عليهم ويريدون رجلًا ليسترها...

فأوضحت لهم أن أبو جهل لا يملك شيئًا انه صفر معدوم لا أوراقًا تثبت هويته حتي، لكنهم لم يبالوا قالوا لا خيار له فقط الخيار لأختنا، وبالطبع وافقت وأخبرنا كبيرهم أن العروس لديها شقة سيعيش معها فيها ونحن سنجد له عملًا، ولن يحتاج إلى ورق سيتزوج بشكل عرفي وسننشر زواجهما..

كنت متحيرًا لكن علي كل حال لقد نجونا وأبو جهل وجد له مأوًا وربما قد يستقر هنا إن لم تقتله تلك المرأة، وعندما نظرت إليه بدى سعيدًا ومتحيرًا في الوقت نفسه، أخبرته أن لا يقلق سأصلح الآلة ولن يصل إليه أحد هنا وسيقضي ما يشاء مع عروسه الجديد حتى أصلح الآلة...

وتم الزواج وعدت أنا إلى بيت سامي وبعد أيام من محاولات إصلاح الآلة لم أفلح، وبعد تفكير عميق كان قراري أن أعود إلى حياتي وأن أحاول مرة أخرى لكن

لاحقًا، وربما يفعل سامي فقد أخبرته عن كيفية عمل الآلة و سيعمل هو عليه

***

عدت إلى حياتي وإلى خطيبتي المهملة، وبدأت علاقتي بها تتحسن وأصبح كل يوم يمر ونحن نكتشف بعضنا البعض، حتى أصبحت متأكدًا أنها وبطريقة ما تشبهني جدًا بعكس ما قد يبدو....

الحمد لله مرت الأيام والشهور دون أن تأتي أي مكالمة من سامي بخصوص أبو جهل..

كتبت كتابي ولم يبقَ على زواجي سوى شهر واحد..

ولكن الحياة لا تستقر على حال أبدًا فقد اتصل متصل، وكان هو بعد تلك الشهور، اتصل بي ومن جديد هددني وهو يقول عبر الهاتف..

- أنا مفلس وزوجتي جعلت حياتي جحيماً، أنا عاطل ولا مصدر رزق لي سامي يأس من سؤالي له، وعرفت منه أنك لا تحاول إصلاح الآلة اصلا، لذلك عليك أن تجد لي عملًا أو ترجعني إلى زمني أنا مسؤوليتك، وأنا أذكرك أنت لست عني ببعيد.

أخذت العضلات المحيطة بعيني تتشنج لتحدث رجفة عصبية لا إرادية تحت عيني، وعلى الفور انتابني الصداع والغضب، فكان ردي

- أنا هجبلك شغل لا مش شغل أنا هعملك مشروع كمان خاص بيك، بس متسألنيش على حاجة بعدها ويبقا أنا كدا عملت معاك كل حاجة، وموضوع الآلة دا مستحيل لكن أنا لن أتوقف عن المحاولة..

اتصلت بسائق النقل وعند العصر كنت أنا وهو على الطريق بالسيارة وتوكتوك أخي المُتوفى من عامين محمل على السيارة ولم يمر الكثير حتي وصلنا ..

في صباح اليوم التالي في الشرقية انسدلت آشعة الشمس الحارة على المساحة الخضراء التي تعج بالأشجار ويتاخمه العمران

وفي النقطة الفاصلة كانت ورشة المعلم عبد المنعم الميكانيكي الذي نظر إلى وإلى أبو جهل وقال بعد أن أشعل سيجارته التي كانت تمكث خلف أذنه فترة من الزمن.

- التوكتوك حالته كويسة جدًا بس محتاج عامرة يعني بكرة إن شاء الله هيبقا زي النحلة على الطريق..

تركنا الميكانيكي يعمل علي اصلاح التوكتوك وتحركنا إلى بيت زوجة أبو عكرمة التي يعيش معها.

على المقعد القابع في غرفة الضيوف جلست، ودلفت إلى الغرفة زوجة أبو جهل وهي تجر خلفها طرف ثوبها الطويل وتابعها هو دالفًا وهو يحمل الشيشة بيده، فركت عيني لعل ما أراه من نسج الخيل، فإذا به قد جلس بجوارها، ثم ناولها مبسم الشيشة وقال "مساء الفل يا جميل" لتنظر هي بعدها إلي وهي تنفخ الدخان وتقول.

- صحيح أنت جبت توكتوك لعمر؟

- أيوة حصل هو عند الميكانيكي يوم وهنستلمه وأنا هعلمه السواقة كمان..

وأخذت المرأة تروي وتشتكي من أبو جهل، ولكن وهي تمزح أما أنا، فكنت أقشعر اشمأزازًا لتغازلهما ومن مدى ضعف أبو جهل أمام زوجته..

هكذا أصبح أبو جهل في هذا الزمان و المكان، فكيف لو أتينا بهتلر وعاين ظروف عالمنا حتمًا لأصبح شخصًا آخر..

جلست على مقعد السائق، وأجلسته بجواري وأخذنا نقود التوكتوك وأعلمه كيف يسوق، وركب معنا بعض الزبائن وكان سعيدًا لحصولنا على أول أجر، واستمر العمل طيلة اليوم وبدأ يُتقن قيادته، واتفقت معه أنه خلال الغد سيستطيع الاعتماد على نفسه، وسأعود أنا إلى بلدتي وقد تركت له مصدرًا للرزق ولا حجة له..

مر الليل طويلًا وأنا أراقب عقارب الساعة ليأتي الصبح والغد الذي سأغادر في ليلة لأعود إلى منزلي..

غصت في النوم وروضتني الأحلام رأيت نفسي بالمشفى وأمي بجواري تخاطبني هي ورقية والعم خالد وتقول أمي وهي تبكي "ملعون أبو الاختراعات"

واستيقظت من نومي على صوت أبو جهل المتحمس ليوم جديد على التوكتوك..

جلس هو على مقعد السائق فقد أصبح يجيد القيادة،

ولكن كان علي البقاء معه هذا اليوم للتأكد من قدرته على القيادة..

وبالفعل أصبح يجيد القيادة فالتدريب الجاد لساعات قد جاء بالنتيجة.. وقبل غروب الشمس أخبرته بأني سأرحل لكنه صار على أن يطعمني من ماله الذي قد اكتسبه..

وتوقف عند بائع الكشري وجاء إلى توكتوك بطبقين وقال "لن ترحل دون أن تأكل"

لم أرفض العرض فقد كنت جائعًا جدًا..

جلست على المقعد الخلفي وأنا مسترخ تمامًا أستمتع بتناول وجبتي الخاصة، أما هو، فكان علىً المقعد الأمامي يأكل مسرورًا كالأطفال..

قطع علينا اللحظة شخصان قد ركبا التوكتوك بجواري أحدهما على يميني والآخر على يساري وقال في نفس واحد "اتحرك بسرعة" لم يستجب أبو جهل في البداية ولكن سريعًا ما رضخ لهم عندما وضع المسدس على رأسه والآخر وضع السلاح على رأسي أنا

ولم نتحرك سوى ١٠٠ متر تقريبًا حتى وجدنا مدرعة خاصة بالشرطي تطاردنا..

فصرخ الشخص الموجود على يمين "لا تتوقف"

وفي سرعة البرق صدمتنا المدرعة، وانقلب التوكتوك على الطريق وفقدت وعيي..

استعدت وعي لأجد نفسي في غرفة ضيقة جدًا مترين مربع، مصمتة الجدران لا معالم لها ولا نافذة، والباب هو الآخر لا معالم له حتى أني اعتقدت في البداية أنه جدار، اما يدي كانت مكبلة بكلبش حاولت أن أصرخ أن أسأل أحدًا عما جاء بي إلى هنا، وما الذي يحدث لا أحد يجيب ولا أسمع أي صوت.

مرت الساعات بطيئة وأنا كالمجنون حتى أن فكرة أنني ميت قد جاءت إلى ذهني، كنت أبكي وأصرخ وأضحك كالمجنون، مضى يوم تقريبًا ربما وربما أكثر لا أدري..

وفجأة فتح الباب ودخل رجلان ضخما الجثة، وعلى وجهيهما الاقنعه انهلت عليهما بالأسئلة لكن جوابهما الحازم

أسكتني.. "لا تتكلم"

فك واحد منهما قيدي ثم اعاد تقييدي ولكن من الخلف، ووضع العصابة على عيني ليصبح كل شيء مظلماً، وأخذوني إلى حيث لا أدري، مسحوبًا أسير معهما حيث أوجه..

تركاني فجأة وسمعت بابًا يُغلَق، لم أكن قادرا علي ان أرى شيئًا لكن سمعت صوت مكيف الهواء وصوت صفحات الورق وهي تقلب وصوت انفاس أحدهم..

سألت "أنا فين"

فأجابني أحدهم وقال

- متخافش يا صفوت ولا تحب أقولك يا عبقرينو، إحنا عارفين عنك كل حاجة بس أنت متورط، الناس اللي كانوا معاكم إرهابيين ومش أي إرهابيين دول من أخطر الإرهابيين وكانوا بينفذوا عملية خطيرة تمس أمن البلد وأنت وصاحبك متورطين..

- والله يا باشا أنا معرفش حاجة أنا في حالي

قاطع كلامي قائلًا..

- أنا عارف إنك بريء لكن هتخرج من هنا معاهم وهتتعرض على النيابة هتقول أقولك وهتخرج من هناك .

- تسلم يا باشا طب بالنسبا لعمر هيخرج..

- قصدك صاحبك المجنون اللي بيقول إنه من أشراف مكة وأنه أبو الحكم، هو على العموم هيروح يتعرض على النيابة وهيتحول لمستشفى الأمراض العقلية.

- بس يا باشا..

- مفيش بس خلاص أنا جبتك أقولك أنت هنا ليه، و انهارده هتخرج من هنا...

شُحِنت في عربية الترحيلات وأنا مكلبش مع أحدهم لم أدرِ من هو فقد كنت معصوب العين حتى أصبحت في قلب السَيارة، وسمعت صوتًا يقول "اكشفوا أعينكم"

لم ألبس حتى نزعت تلك القطعة القماشية ذات الرائحة النتنة لأجد نفسي في السيارة مكبلًا مع أبي عكرمة وبجواري الرجلين من التنظيم الإرهابي..

نظرت إليهما بعدوانية ومقت شديد، فهما السبب فيما

نحن فيه فقال أحدهما بتبجح ناهرًا إياي..

- بتبص كدا ليه يلا أنا ممكن أقتلك دلوقتي ومش فارقة معاية أنا كدا كدا إعدام..

لم أتفوه بحرف بعد ما سمعت فقد قال الضابط إني سأعود إلى منزلي في أمان ولا داعي لإحداث المشكل..

لكن المشكلات أصبحت تعرف طريقي وهي التي تأتي إلي..

سمعت دوي إطلاق النار، لم أكترث في المرة الأولى ولم أتصور أنه رصاصاً يُطلَق اصلا، حتى تحطم الهدوء من أصوات الطلقات الناريه وبشكل مكثف، تحركت السيارة بسرعة شديدة، واخترقت رصاصة السيارة، وأصابتني في ذراعي وانهمر الدم..

لم أشعر بالألم من شدة الذعر، وبدأت أستغيث بالله وأنطق بالشهادتين حتى انقلبت السيارة..

استمر إطلاق النار ما يقرب من عشر دقائق حتى فتح الباب، وقتل الشاويش أمام عيني، وتحرك الشخصان

الإرهابيان واتضح أنهما يعرفان مقتحم السيارة وخرج أبو جهل معهما، حاولت منعه حتى لا نتورط لكنه غلبني واستعان بهما فساعداه..

خرجنا من السيارة لنجد الطريق ساحة معركة وهناك قتلى، وركبنا سيارة أخرى وانطلقنا بسرعة إلى مكان مجهول بين المساحات الزراعية الخضر..

لقد ارغمني ابو جهل علي ذلك فانا مكبل معه

أرهبني مشهد المعسكر الذي دلفنا إليه وما إن وصلنا حتى أدركت أن المعسكر تابع للتنظيم الإرهابي الذي ينتمي إليه الشخصان الذي تعرفت علي أسماءهما من خلال المحادثات التي دارت بينهما في الطريق، عكاشة و حموده..

المعسكر يعج بالأفراد المسلحين يتكتلون بشكل عشوائي هنا وهناك، ومنهم من يتدرب ومنهم من يراقب حدود المعسكر، وآخر ما قد رأيته أبو جهل وهو يجاهد في سبيل إرضاء أفراد المعسكر وإظهار الولاء لينضم إليهم..

فقدت الوعي جراء الدم الذي سال من زراعي، وبدأت

أرى في المنام ذلك الحلم الذي يأتيني منذ فترة

أنا على سرير في المشفى أمي بجواري تبكي، ثم أنظر لأري داليا أمام أمي و هي الاخري تبكي، ثم يقال أحدهم ثلاثة اشهر، لم أدرِ من القائل، كان الرقم يتغير في كل مره اري فيها ذلك الَحلم، دلف طبيب إلى الغرفة وأمسك زراعي وأدخل شيئًا فيه جعلني أشعر بألم شديد فأيقظني...

نظرت إلى زراعي وكان الألم لا يزال ينخر فيه، لكن يبدو أنهم عالجوني، فقد وجدته مضمدًا وأنا في غرفة من الخشب خرجت منها لأرى نور الفجر قد بدا يبزوغ نظرت إلى السماء وانهمرت دموعي أخذت أدعو الله بصوت عالٍ وأنا أصرخ..

انهمرت السماء بالماء وصدع صوت البرق شديدًا، لكن لم يمر الكثير حتى أدركت أنه لم يكن البرق بل صوت "سنيبر" كما قال أحد الموجودين في المعسكر وهو يصرخ وأطلق صافرة الإنذار وبدأت أسمع صوت إطلق النار من كل اتجاه، لم أعرف أين أذهب فوجدت من يركض تجاهي فهربت منه بعيدًا لكنه لم يتركني، حتى بعد أن أصبحت

داخل المساحات الخضراء بين الشجر في الظلم شعرت به يطاردني، وتوقفت عندما سمعت صوته كان أبو جهل لكن بعد ان بدل ثيابه و لثم وجهه، ولم يكن وحده كان معه أحد أفراد المعسكر الذي قال وهو يلتقط أنفاسه..

"لازم نهرب الشرطة حاصرة المكان"

لم أتردد فأنا متورط معهم وبشكل رسمي، وقطعنا المسافات سيرًا بين الأشجار والحقول حتى خرجنا على الطريق مع بزوغ شمس الظهيرة..

جثوت على ركبتي وأنا لا أعرف أين أذهب وماذا أفعل ضاقت بي الأرض و اخذت اصرخ كالمجانين، شعر أبو جهل بما أشعر فدنى مني وقال "لا تخف سنعود إلى القاهرة"..

- إزاي والشرطة عارفة مكاني وأنا بقيت متورط غير أن ليك أعداء هناك في كل حتة هنموت..

- لا أنا أعرف الحل فكرت في الحل وأنا في المعسكر، فلو كنت أحضرت الآلة إلى المعسكر وعدت بالزمن ومنعت نفسك من تشغيل الآلة سينتهي كل شيء..

وفي يأس وبكاء قلت

– إزاي ما خلاص انتهى كل شيء..

– لا سنعود للقاهرة بالقطار ولن نذهب إلى بيتك لا بل سنذهب إلى الغرفة التي كنت أعيش فيها عندما كنت أعمل في العتبة، وستتصل بابن خالتك سامي ليأتي بالآلة ونعمل هناك على إصلاحها..

جفت دموعي وأنا أسمع هذا الكلام وعاد إلى قلبي الأمل..

لكن إذا حدث هذا هل سيتغير كل شيء و سيصبح كالحلم، لن أبقى عندها مع وردتي داليا، ابعد ان اتفقنا علي ان نسمي الابن الاكبر انس يالله ... لكن لا أملك سوى هذا الحل، و حتما سأعود لها من جديد ..

وصلنا القاهره في امان .. -المخرج عايز كدا-وعلى أحد أسطح أبراج القاهرة في وسط البلد صعدنا وكانت هناك العديد من الغرف اتجه أبو عكرمة إلى غرمة منهم وطرق الباب فلم يجب أحد فكسر الباب فكان أحدهم جالسًا

ومبتسماً و هو يدخن الشيشه و يبدو انه في عالم موازي

دلف أبو عكرمة وسلم عليه واتضح أنه سكران طلب منه ابو عكرمه هاتفه فأعطاه له ومد أبو جهل يده إلي وقال

- اتصل بسامي..

- طب مين دا وفي ايه؟

- لا تشغل بالك قد كان زميلي في العمل اتصل بسامي وأنا سأرسل زميلي ليأتي لنا بالطعام وكل ما نريد..

أعجتني قيادة أبي جهل وشهامة ابن خالتي الذي لم يتأخر رغم أنه قد يتورط في المخاطر لم يتأخر وجاء على الفور..

- هنشتغل لحد الصبح ومش هنرتاح إلا لما الآلة تشتغل يا عبقرينو وهترجع بالزمن وتمنع نفسك

هذا ما قاله سامي عندما عرف القصة كاملة بعد وصله بالاله ..

رغم أني خائف جدًا وأشعر أن العالم كله ضدي ولا أمان على تلك الأرض، فإن هناك شعور بالدفء، رغم أني لست محاطًا بالعشرات من الأصدقاء، فإني سعيد وقلبي ممتلئ

بالسكينة والسرور والأمل...

أبو جهل كان يراقب المكان من على السطح، وصديقه كان يأتي لنا بما نحتاج حتى ذلك الإرهابي قد اتضح أنه كهربائي وكان يساعد بما يستطيع..

وفي أثناء العمل نظرت إلى سامي الذي كان يعمل بجد ويغير الأسلاك التي احترقت

- سامي أنا آسف على كل مرة تنمرت عليك، وآسف على حقدي عليك مكنش المفروض أخش تحدي معاك وأقارن نفسي بيك..

- إيه الكلام دا يا معلم مفيش داعي للاعتذار، أنت نسيت طفولتنا إحنا كنا ولا الأخوات أنت لم كنت تيجي عندنا مع خالتي وتروح كنت أقعد أعيط عشان مكنش عندي صاحب غيرك..

- أنا آسف من كتر المقارنات اللي كنت عايش فيها بقيت بكرهك دا لأن أمي مكنتش بتوقف مقارنات بيني و بينك، بقيت مش أنا بقيت شخص تاني لأني مش بفكر غير في إني

أنافسك في مجالك..

- بس أنت فعلًا عبقري وإحنا أصحاب مش بس قرايب وبعدين خلاص كل حاجة هتتحل إحنا نقدر نجرب الآلة دلوقتي مفيش أي أعطال..

وقفت أمام الآلة

نفس عميق وتوتر قد بلغ طور الوحش، ربت سامي على كتفي هو وابو جهل حتى عماد صديق أبو جهل والإرهابي شادي الذي كان يقول "ارجع بالزمن وامنعني من الانتماء إلى الجماعة الإرهابية"

حددنا الزمان والمكان حيث كنت أحاول تشغيل الآلة قبل أن يأتي أبو جهل، وبمجرد أن أمسكت مقبض التشغيل حتى تفرق الجميع عني وأخذوا ساترًا، نظرت إليهم وأنا أودعهم فقال سامي

- لا تنسي أن تخبرني بسر الآلة..

نظرت إليه بابتسامة وشغلت الآلة..

أخذت الكهرباء في صعقي وبدي لي ألوانًا وأشكالًا

غريبة، وشعرت بجسدي يطير في شيء كالدومة إنني أنتقل عبر الزمان، ولاح لي العديد من الصور ورأيت ذلك الحلم مرة أخرى لأمي وهي تجلس بجواري في المشفى..

وفجأة وجدت نفسي في غرفتي، بدى كل شيء حلمًا، كانت حركتي ثقيلة جدًا بالكاد أتحرك ثم رأيت نفسي أدلف إلى الغرفة أشعل النور حاولت أن أنادي أن أصرخ لكن لم يخرج صوتي، كان ضعيفًا فدنوت من نفسي..

و للأسف لم أكن مرئيًا ولم يكن صوتي مسموعًا صرخت كثيرًا لا تشغل الآلة لكن لا جدوى

كنت أرى نفسي لأول مرة في تعجب، شخص أخرق أضاع عمره لإثبات الوهم والسعي خلف السراب تاركًا خلفي أشخاصًا أحبوني بصدق ومواهب حقيقية..

تحرك ذلك الأخرق الغريب نحو الآلة وأنا في يأس أصرخ لقد مر من خلالي و كأني طيف، فجلست في يأس أشاهد ما يحدث وأقول في نفسي

"فليحدث ما يحدث أنا الآن أحب واقعي وإن تعسر

فهو من الذي جعلني أرى نفسي علي حقيقتها قلبًا وقالبًا" اشرأب عنقي عند تشغيل الآلة، وبدأ المشهد يتكرر انفجرت الآلة فارتطمت بالجدار وأخذ الدخان يملأ الغرفة، وأنا أنظر وأراقب ظهور أبو جهل لعلي أمنعه مما قد يسبب المشكلات..

وطال انتظاري وأنا أتأمل في الدخان، نظرت إلى نفسي لأجد الدماء تنزف من رأسي المرتطم في الحائط اعترتني الدهشة، فهذا لم يحدث..

تحركت نحوي أحاول إيقاظي لكني لم أحرك ساكنًا، و قد لاح في راسي سؤلاً يا إلهي هل أنا ميت؟

كانت الغرفة قد غمرت بالدخان لأن الآلة احترقت وأحرقت الأثاث..

نظرت إلى نفسٍي للمرة الأخيرة، بالكاد أنفاسي تخرج من جوفي لقد مت إذا !! اعترتني بسمة ساخرة و تلتها دمعة جارية وفي تلك اللحظة، اِقتُحِمَت غرفتي من شباب الحي بعضهم حملني والآخرين كَانوا يحاولون إطفاء الحريق..

تحركت معهم، لأجد أمي قد عادت من سفرها و تزامن نزولها من سيارة الأجرة مع لحظة إدخالي سيارة الإسعاف ركبت معي وهي تبكي في فزع ورأيت رقية تبكي وتطلب من أمي أن تأتي ولم تستسلم حتى ركبت السيارة، وتحركت وأنا واقف لا أدري ما الذي يحدث، هل أنا في حلم ولماذا تبكي رقية ؟! ألم يكن ما حدث لي من خطبتي لها وكتب كتاب خيالًا وحلمًا؟ اما انه واقع ؟

وانتابني شعور بالهذيان، وأنا أتساءل وأفكر، أغمضت عيني لأرى الحلم مرة أخرى. احلم بأني علي سرير في مشفي بين الاجهزة ..

لكن هذه المرة رأيتهم قد دُهشوا واقتربوا مني أمي ورقية وأخي الكبير وهم يقولون ..

"قام بالسلامة عبقرينو قام"

ضمتني أمي والدموع تجري على وجهها ورقية هي الأخرى كانت تبكي من الفرحة..

وأدركت ان ما كان واقعً كان حلُماً و ما كان حلُماً كان

واقع فقد عرفت من كلامهم أني كنت في غيبوبة منذ ثلاثة أشهر..

جاء الطبيب وأخذ يُعاين حالتي ويفحص النبض والضغط والحرارة ..

وأخبر أهلي أني في حالة لا بأس بها، ولكن سأحتاج زيارة طبيب نفسي لمتابعتي لأني في صدمة عصبية..

نظرت إليهم وعيني مليئة بالدموع وقد التف كل شيء من حولي، وأنا أشعر بالضياع والتيه، لكن ما أنا متأكد منه أني لم أعد ذلك الأنا..

- أمي أنا بحبك وبحبك يا زياد وأنتي كمان يا داليا أنا بحبك أنتي أكتر إنسانة أنا بحبه أنا كنت بشوفكم وأنا في الغيبوبة، شوفتكم في الغيبوبة بطريقة مقدرتش أشوفكم بيها وأنا صاحي، عرفت إن داليا أكتر إنسانة بتحبني وأن أمي أكتر إنسانة طيبة رغم القسوة اللي ظاهرة ليا منها وأنا أخوية أكتر إنسان بيتمنى ليا الخير..

***

على الشزلونج تمدادت قدمي ودنى الطبيب ليجلس على الكرسي بجواري وفي يده بضع أوراق قد دَوَّن فيها الكثير من المعلومات عني خلال الجلسات السابقة... ثم قال

- اللي أنت عيشته أثناء فترة الغيبوبة وإن كان خيال فهو من نسج الواقع، أنت كنت عايش بشخصية غير شخصيتك، وكأن عقلك استغل الفرصة عشان يرجعك ينسج خيالات تفكرك باللحظات الحلوة اللي أنت عشتها مع سامي مثلًا، ويخليك تاخد بالك من اللي كانت بتشوفها عينك من غير ما تنتبه لها، كمان بعض الناس اللي دخلت في غيبوبة كانت قادرة تشوف الناس حوليها ونفسها، وتفسير دا في علم النفس معجز من الآخر ملوش تفسير، المهم أنت دلوقتي خلاص بقيت أحسن، انهارده خطوبتك على داليا اللي اكتشفت حبها ليك في حلم، وأنت وسامي بقيتوا أصدقاء.

- الحمد لله يا دكتور، فعلًا أنا اكتشفت إن أهم حاجة الرضى، صحيح إحنا ممكن نفشل لظروف مش بإدينا، ودا

اللي بيخلينا بشكل كبير نرفض الواقع، أنا بس بحس إن اللي حصل كان واقع، أوقات بسأل عليه وبحس إنه موجود فعلًا، أنا على فكرة بقيت بتعمق وبشكل كبير في دراسة التاريخ والشخصيات التاريخية المغمور قبل المشهور، وبدرس علم اجتماع، وبحاول إني أعمل افترضات وتصورات للشخصيات دي في أزمنة مختلفة، يعني مثلا

محمد علي في الزمن الفرعوني والملك مينا في عهدنا هذا وهتلر في شبه الجزيرة وجنكيز خان في نيويورك في القرن الواحد والعشرين..

- عظيم جدًا استمر وهتبقا أفضل اشغل وقتك أكتر وأتمنالك السعادة في حفلة خطوبتك..

دلفت إلى محطة المترو بعد أن خرجت من عيادة الطبيب النفسي الذي كنت أتابع معه منذ شهرين لقد أصبحت شخصًا آخر تغيرت تمامًا..

نفسي لا أكاد أعرفها حين انظر إلى المرأة الطباع، جديدة يغلب عليها الهدوء والانسجام حتى في زحام كزحام محطة المترو..

في أحد مقاعد عربات المترو انزويت، والبسمة المنعكسة من السكينة في جوفي على وجهي قد ارتسمت أخرجت الدفتر الصغير من جيبي وأخرجت القلم من غمده وأخذت أكتب .. "في كل زمان تتكرر الأشخاص، يولدون من جديد في زمن جديد، ليسوا هم بالمعنى الحرفي، ولكن ربما قدرًا بالصفات الوراثية نفسها ولكن شتان شتان بين الأمس واليوم واليوم والغد، فلو تخيلنا جنكيزخان في شوارع نيويورك في أمريكا لرأيناه رجلًا انطوائيًا وربما حسودًا، ولو افترضنا هتلر في مصر حيث وُلِد في أسرة مصرية بسيطة ووفقه الله لكي يكون سائق ميكروباص لرأيناه شخصًا مدمنًا للترمادول، او طالب انطوائي في كلية فنون جميلة، ولو تخيلنا أبطال الأمس موجودين اليوم رأيناهم على المقاهي مكدسين، والعكس صحيح شباب اليوم الذي اعتراهم اليأس والخمول، لو عادوا إلى الأمس لرأيناهم البواسل الشجعان، لكنها في النهاية الظروف والبيئة، فلا نلوم مجرم الأمس على جرمه ولا نلوم مخطئ اليوم على خطئه فعلًا نعلم ما قد نفعل لو كنا في زمانه

وحاله ولا أقول بذلك إن علينا أن نعيش بلا قانون يحدد الخطأ ويعاقب عليه ولكن كفانا تسلطًا وغرورًا، ولننظر إلى أنفسنا... و صدق الرسول صلي الله عليه وسلم حين قال لأصحابه "ان من ورائكم ايام الصبر للمستمسك فيهم علي ما انتم عليه احر خمسين منكم" أنها ايام الصبر والله و المجد كل المجد للمستمسكين ..

أنا الذي كنت في الأمس ملكًا وأنا اليوم صعلوك، وغدًا شخص مشهور وربما بالأمس كنت مغمورًا، أنا الذي كنت قاتلًا وأنا الغريق في دمي، أنا الأحمق والذكي أنا المنعوت من سائر الخلق بالغبي، وأنا الحكيم المنشود من الحياره، وأنا النبي المرسل وأنا الكافر الفاجر أنا الشيطان كنت وأنا المُشع بنور الملائكه أنا الزهاد القديس وأنا الفاسق الخسيس أنا العاهرة و العذراء..

لم يختر أي من حظه ولا شكله ولا قدره ولا تاريخه ولا جنسه ولا لونه، فلا داعي للتحصن خلف جسد وزمن ونسب لا داعي للتستر خلف الكذب والوهم، ولنحمد الله على ما جعلنا عليه، ولننظر لكل إنسان بالعين التي ننظر

بها لأنفسنا حتى نحب لأخواننا ما نحب لأنفسنا، فلو فعلنا ما كان على الأرض من جريمة وما أبى الشيطان السجود ولا قتل قابيل..

كنت أريد يا الله أن أسألك وأن أبحث، فأنا أعلم أن جميع الإجابات مخلوقة هي الأخرى كالأسئلة وموجودة على تلك الأرض..

يا الله، لِمَ جعلت فيها من يفسد فيها يسفك الدماء ؟ لكن لقد فهمتَ

الحمد والشكر لك على نعمة الإجابة..

ركبت الباص بعد أن خرجت من المترو، ولم تكن الشمس دنت للغروب بل كنا عصرًا، وكان المكان مزدحمًا وبينما أنا واقف في طلاطم الناس إذا بلص يحاول نشل أحدهم..

فنظرت إليه كما أنظر إلى نفسي، فكنت له ضميرًا لا سوطًا، وسوط الضمير في بعض الأحيان أشد قوة..

لاحظ نظري وكانت عيني تقول ما يعجز عن النطق به لساني فتعمد أن يجعلني أراه وهو يفلت المحفظة من يده

لتسقط أرضًا، و اشار لصاحبها وكان أمامي لا أرى منه إلا ظهره..

لمست ظهره وأنا أنادي بعد أن أخذت المحفظة من على الأرض

- لو سمحت المحفظة وقعت منك...

وكانت الصدمة أنه أستاذ فريد أستاذ التاريخ الذي دلني على أبو جهل في حلمي عندما كان ضائعًا

جحظت عيني فسألته..

- حضرتك اسمك أستاذ فريد؟

- أولًا شكرًا على الأمانة ثانيًا لا أنا اسمي نادر..

كنت مزهولًا فقد كان مطابقًا له تمام التطابق، فقولت في توتر

- حضرتك أستاذ تاريخ..

- لا أستاذ فلسفة ومنطق، اشمعنا ؟!

وقبل أن أتكلم بحرف أردف قائلا

- بس أنا حاسس إني شوفتك قبل كدا .

- أيوة أنا كمان ممكن نكون اتقابلنا صدفة..

وتذكرت أنه كان عضوًا في جماعة تُسَمى أبناء الكون، فهمست في أذنه.

- حضرتك عضو في جماعة أبناء الكون..

فقال في توتر "لا لا لا لا لا لا"

وتبادلنا شعور التوجس فلاذ كل منا إلى الصمت ثم بابتذال سعل ودنى حتى همس في أذني وقال

- لا من جماعة أبناء الطبيعة..

صعقني بكلامة لكن لم اكترث كثيرا فقد وصلت وجهتي

بمجرد أن خرجت من الباص اتصلت بطبيب النفسي لأقص عليه ما قد جرى، لكنه لم يرد ودنوت من الحي الذي أسكن في فصادفتني "بسمة"

- إزيك يا صفوت أخبارك ايه ألف مبروك..

وقبل أن أرد رعدتني بكلامها وهي تقول

- أنا حلمت إني قاعدة عندك في المكتبة مع شاعر عربي قديم وكان عمال يقولي قصايد حلوة أوي ولما سألته أنت اسمك ايه قالي عمرو صديق عبقرينو..

أصبح قلبي يخفق بشدة واخطلت علي كل شيء، الواقع بالخيال والخيال بالواقع وجالت الذكريات في رأسي كأنها واقع قد حدث بالفعل، تركتني بسمة في طريقي الذي كنت أسير عليه، كالسمل وأنا شارد الفكر وحسمت الأمر، لا يهم ما قد مضى فقد مضى و اليوم حفل خطوبتي ويجب أن أستعد ..

صوت الزغاريط شق الصمت وأنا أدلف إلى شقة داليا والتي كان بها الحفل، الحاضرين اقتصروا على الأقارب فقط، فالحفل كان على الضيق..

نظرت إلى عروسي التي كانت تلمع بين الحاضرين كنجمة ساطعة رقيقة السلوك يكسوها الحياء..

وصدقًا أنا ممنون لكل الظروف الصعبة والألم، وتعثُري في طريقي، ففي النهاية وصلت إلى هنا..

وكاد قلبي أن يقف عندما بدأ المكان يهتز جراء دوي إطلاق النار، فهرعت إلى البلكونة دون خوف ونظرت نحو بيتي، لا جد حرب قائمة قد اشتدت في الشارع، وأن احد أفراد العصابات المتبادلين لإطلاق النار قد اتخذ من مدخل منزلي ساترًا له..

وقد عزمت على أن أظل على حالي أراقب حتى إذا جائت الشرطة أخبرتهم إذا ما تسلل أحدهم إلى بيتي.. كنت امعن النظر في زهل، هل ما يحدث حقيقيٌ فعلا !؟

وقد كان رأيت الجميع يفر حين جاءت الشرطة إلا واحد منهم لم يخرج من بيتي وهرعت إلى الشارع وبسرعة، مؤكد انه ابو جهل و انا لم اكن احلُم

وتابعتني داليا ومعها أمي وأخي وبعض من الحاضرين..

كنت أسمعهم وهم يحاولون إيقافي لكن لم أكترس لكلامهم.

وصلت إلى الشارع لكن لم أجد أي من أفراد الشرطة ولا أي أثر لأي اشتباك كان كل شيء على ما يرام..

نظرت نحو أمي و داليا وسمعتهما تقولان

"مالك يابني استهدى بالله أنت مأخدتش الدوا ولا ايه"

تذكرت أن الطبيب أخبرني بأني قد أعاني من الهلاوس، وعلي أن أنتظم على تناول الحبوب المضادة للهلاوس..

وفي تلك اللحظة رأيت شاحنة ضخمة متجهة نحوي بسرعة، وكان اليأس قد تمكن مني وفاض في عروقي، لكن بالطبع لن أنتحر يا مجانين عدت إلى عرسي واعتذرت من الجميع وعاد كل شيء إلى وضعه الطبيعي..

من بيت عروسي خرجت بعد سهرة طويلة وعشاء دسم ولذيذ وإلى غرفتي دلفت

غرفتي التي لم تعد تزدحم بالخردا المبعثرة هنا وهناك..

وروحت في نوم عميق لأجد من يوقظني بعد برهة وهو واقف بجوار سريري ويشير إلي بسلاحه ويقول اصحى يا عبقرينو..

وفي سخرية نظرت إليه و انا اعرف اني اهلوس وقلت

- أبو جهل ازيك يا حبيبي أخبارك ايه

فقال

– لا أنا شنكيزخان رجعني للمغول يا عبقرينو

تمت بحمد الله

٢٧/ ٩/ ٢٠٢٠

٤:١٠ فجرًا

غرفة ١٣/ ٢